

مدخل إلى علم الفقه



أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة

www.islamiccoa.com/lms

+989217854824



أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة

www.islamiccoa.com/lms

+989217854824

الكتاب:	مدخل إلى علم الفقه
نشر:	جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد:	مركز نون للتأليف والترجمة
الإعداد الإلكتروني:	شبكة المعارف الإسلامية_www.almaaref.org
الطبعة:	نيسان ٢٠١٠م - ١٤٣١هـ
جميع حقوق الطبع محفوظة ©	

سلسلة مداخل العلوم

مدخل إلى علم الفقه

إعداد

مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

5	الفهرس
9	المقدّمة
13	الدرس الأول: ما هو علم الفقه؟
15	تمهيد
16	1. الفقه في اللغة:
17	2. الفقه اصطلاحاً
18	الحاجة إلى علم الفقه
21	الدرس الثاني: تعريف علم الفقه
23	ما هو علم الفقه؟
23	شروط الفقيه وعملية الاستنباط
25	موضوع علم الفقه
25	غاية الفقه

27	الدرس الثالث: تعريف الحكم الشرعيّ وتقسيماته
29	تعريف الحكم الشرعي
30	أقسام الحكم التكليفيّ
31	مصادر التشريع
35	الدرس الرابع: أبواب الفقه ومسائله
37	تقسيم علم الفقه
37	القسم الأول العبادات
39	القسم الثاني العقود
39	القسم الثالث: في الإيقاعات
40	القسم الرابع: في الأحكام
43	الدرس الخامس: تطوّر الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
45	بداية التشريع
45	القرآن والعترة
46	أدوار الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام
46	الدور الأول
47	الدور الثاني
48	ميّزات هذه المرحلة
49	الدور الثالث

55	الدرس السادس: المدارس الفقهيّة الشيعيّة (1) المدينة المنورة – الكوفة
57	تمهيد
57	1. مدرسة المدينة المنورة
58	في عهد الخليفة الثاني
60	ملاحم المدرسة
61	2. مدرسة الكوفة
62	أبرز أصحاب الإمام الصادق عليه السلام
63	خوف العباسيين
63	ملاحم المدرسة
69	الدرس السابع: المدارس الفقهيّة الشيعيّة (2) قم والريّ
71	نشأة مدرسة قم
71	أسباب الانتقال
72	ازدهار المدرسة
73	أبرز علماء هذه المدرسة ومصنّفاتهم
75	ملاحم المدرسة
79	الدرس الثامن: المدارس الفقهيّة الشيعيّة (3) بغداد والنجف
81	أسباب الانتقال إلى بغداد
84	ملاحم المدرسة:

89	الدرس التاسع: المدارس الفقهية الشيعية (4) الحلة
91	نشأة المدرسة
91	أبرز علماء مدرسة الحلة
94	ملاحم المدرسة
97	الدرس العاشر: المدارس الفقهية الشيعية (5) جبل عامل
99	أ – مدرسة جزين
100	ب-مدرسة جباع
101	من أعلام مدرسة جباع
102	ج-مدرسة كرك نوح
102	معالم مدرسة جبل عامل
105	الدرس الحادي عشر: المدارس الفقهية الشيعية (6) أصفهان – كربلاء
107	مدرسة أصفهان
107	الكركي والدولة الصفوية
109	ملاحم مدرسة أصفهان
110	مدرسة كربلاء
110	أبرز علماء المدرسة
112	ملاحم المدرسة
112	عودة مدرسة النجف الأشرف وقم المقدسة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد اتساع نطاق هذه العلوم وتشعبها أصبح من الضروري جداً وجود ما يقدم لمحة عن العلوم الإسلامية، بذكر مقدمات كل علم، وفترة وأسباب نشوئه، وتطوره، والأسلوب المتبع فيه، وأهم أبحاثه وكتبه والعلماء المؤسسين له، ومدى الحاجة إليه والاستفادة منه، وقد اصطلح على هذا النحو من المعرفة اسم مداخل العلوم الإسلامية.

وبعد أن رأى مركز نون الحاجة إلى كتابة كتاب مستقلّ لمداخل العلوم، قام بتدوين مدخل لكل من الفلسفة والفقه والأصول والكلام الإسلامي، ويعمل على كتابة مدخل إلى العرفان وغيره من مداخل العلوم معتمداً على عددٍ من المصادر والمراجع المختصة في مجالها، سائلاً المولى أن يكون قد ملاً فراغاً في مجال المعارف، راجياً من الله أن يلقى قبولاً لدى طلاب المعرفة والحوزات والمعاهد الإسلامية.

إنّه نعم المولى ونعم المحيى.

مركز نون للتأليف والترجمة

سلسلة
مداخل العلوم

مدخل إلى علم الفقه

ما هو علم الفقه؟

أهداف الدرس

١. أن يتعرف الطالب إلى المعنى اللغوي والإصطلاحي للفقه.
٢. أن يدرك الحاجة إلى علم الفقه.

يعتبر علم الفقه من أهم العلوم الإسلامية، وأقدمها تاريخاً، وأوسعها مادّةً، وأكثرها تشعباً. وقد نشأ هذا العلم في صدر الإسلام واستمرّ إلى يومنا الحاضر، وبرز فيه فقهاء كثيرون، منهم عابرة مبدعون، ألفوا وصنّفوا كتباً فقهية لا يمكن حصرها لكثرتها. وما ذلك إلا لشدة العناية بهذا العلم من قبل علماء المسلمين، وما له من أهمية بالغة بنظرهم. فهو العلم الذي يبحث عن جميع مسائل الحياة الاجتماعية، ويحدّد الموقف الشرعيّ تجاهها، وقد قالوا "إنّه لا تخلو واقعة من حكمٍ"، ولو على مستوى تحديد الوظيفة العملية. فإذا كان كذلك، فهو علمٌ يبحث عن كثيرٍ من الفروع والدقائق، عن موقف الإنسان من نفسه ومن ربّه ومن أخيه الإنسان، حقوقاً وملزّماً، وآداباً ومستحبات أو مكروهات. وهذا يعني شمول كلّ حركات وسكنات الإنسان، وما يبحثه العلم المعاصر تحت عنوان الحقوق: الأساسيّة، والأسريّة، والجزائيّة، والإداريّة، والسياسيّة، والمدنيّة، حتّى حقوق الإنسان أو حقوق الحيوان، وغيرها، كلّ ذلك تجده منتشرّاً في الأبواب الفقهية، مع زيادة في الفقه، وهي أنّه يبحث عن أشياء لا تجدها في علمٍ غيره، كالبحث عن علاقة الإنسان بربّه وما يفرضه عليه من طاعات، وينهاه عن محرّمات، وهو ما يعبر عنه ببحث العبادات، فهذا النوع من الأبحاث من مختصّات علم الفقه، ولا يوجد في أيّ مجالٍ علميٍّ آخر.

١ - الفقه في اللغة

قال في النهاية: "... الفقه في الأصل: الفهم، يقال: فقه الرجل بالكسر - يفقهه فقهاً إذا فهم وعلم، وفقهه بالضم يفقهه: إذا صار فقيهاً عالماً"^١.

وفي لسان العرب: "الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم". فالفقه يعني الفهم والعلم^٢.

أ- والقرآن الكريم: استعمل كلمة الفقه في موارد متعدّدة، وأراد منها المعنى اللغوي:

قال تعالى: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^٣.

﴿قُلُوبًا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^٤. قال في منية المرید: "والذي يحصل به الإنذار غير هذا العلم المدوّن... وإتّما العلم المهمّ هو معرفة سلوك الطريق إلى الله تعالى، وقطع عقبات القلب، التي هي الصفات المذمومة، وهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى،... ومن ثمّ كان العلم موجباً للخشية، بل هي منحصرة في العالم كما نبّه عليه تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^٥، أعمّ من أن يكونوا فقهاء أو غير فقهاء"^٦.

١- ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ): النهاية في غريب الحديث، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، الناشر مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم - إيران، ط. الرابعة ١٣٦٤ هـ ش.، مادة فقه: ج ٣ ص ٤٦٥.

٢- ابن منظور (ت: ٧١١ هـ): لسان العرب، نشر أدب الخوزة، قم - إيران، ط. ١٤٠٥ هـ، مادة فقه ج ١٣ ص ٥٢٢، مجمع البحرين، ج ٣- ص ٤٢١.

٣- الأعراف: ١٧٩.

٤- التوبة: ١٢٢.

٥- فاطر: ٢٨.

- ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَتَفَقَّهُوا قَوْلِي﴾^٧.
- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا يَمَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾^٨.

ب- والحديث كذلك استعمل الكلمة بمعناها اللغوي:

- فعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "من حفظ من أمّتي أربعين حديثاً ممّا يحتاجون إليه من أمر دينهم بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً"^٩.
- وعن حنان بن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "من حفظ عنّا أربعين حديثاً من أحاديثنا في الحلال والحرام بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ولم يعدّبه"^{١٠}.
- وعن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "ليت الشياطين على رؤوس أصحابي حتّى يتفقّوها في الحلال والحرام"^{١١}.
- وعن داود بن سرحان قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يكيّل تمرّاً بيده، فقلت: جعلت فداك، لو أمرت بعض ولدك، أو بعض مواليك فيكفّيك، فقال: "يا داود إنّه لا يصلح المرء المسلم إلا ثلاثة: التفقّه في الدين، والصبر على النّائبة، وحسن التقدير في المعيشة"^{١٢}.

٢- الفقه اصطلاحاً

ثمّ استعمل هذا التعبير بعد فترّة في روايات عن أهل البيت عليهم السلام وكان يراد

- ٦- الشهيد الثاني زين الدين بن علي (ت: ٩٦٥ هـ): منية المريد، تحقيق رضا المختاري، الناشر مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط. الأولى ١٤٠٩ هـ، ص ١٥٧.
- ٧- طه: ٢٧ - ٢٨.
- ٨- هود: ٩١.
- ٩- الصدوق: (ت: ٢٧٤ هـ) الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، منشورات جامعة المدرسين، قم - إيران، ط. ١٤٠٣ هـ، ص ٥٤١. وراجع: الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤ هـ): وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. الثانية ١٤١٤ هـ، باب وجوب العمل بأحاديث النبي ج ٢٧ ح ٧٢ ص ٩٩.
- ١٠- م.ن. ص ٥٤٢.
- ١١- البرقي (ت: ٢٧٤ هـ): أحمد بن محمد: المحاسن، تعليق جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط. ١٣٧٠ هـ، ج ١ ص ٢٢٩.
- ١٢- الكليني: (ت: ٣٢٩ هـ): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط. الثالثة ١٣٦٧ هـ ش.، ج ٥ الحديث ٤ ص ٨٧.

منه العلم بالأحكام الشرعية، ففي الرواية عن مصادف قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: تحج المرأة عن الرجل؟ قال: "نعم إذا كانت فقيهة مسلمة وكانت قد حجّت، ربّ امرأة خيرٌ من رجل" ١٣. قال الشيخ الطوسي في ذيل هذه الرواية: فشرط في جواز حجّتها مجموع الشرطين: الفقه بمناسك الحج، وأن تكون قد حجّت فيجب اعتبارهما معاً.

وعلى هذا الاصطلاح الدارج في العرف، نجد العلماء قد عرّفوا الفقه بأنّه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية عن أدلّتها التفصيليّة لتحصيل السعادة الأخرويّة" ١٤.

الحاجة إلى علم الفقه

بعد أن يؤمن الإنسان بالله سبحانه وتعالى ويقرّ له بالعبودية، ويؤمن بالدين الإسلامي، ويعلم أنّ لهذا الدين شريعةً يجب عليه اتباعها، وامتنال أحكام الله تعالى فيها، يصبح لازماً عليه - وفقاً لعبوديته التوفيق بين سلوكه في مختلف مجالات الحياة والشريعة الإسلامية، ومدعوّاً بحكم عقله إلى بناء كلّ تصرّفاتّه الخاصّة وعلاقاته مع الأفراد الآخرين على أساسها. ولهذا كان من الضروريّ على الإنسان المؤمن أن يعيّن في كلّ شأنٍ من شؤون الحياة الموقف العمليّ الذي تفرضه عليه هذه التبعية للشريعة الإسلامية، ويحدّد هل يفعل أو يترك؟ وهل يتصرّف بهذه الطريقة أو بتلك؟ وإذا حدّد موقفه والتزم بتكليفه استحقّق الجنة التي وعد الله بها عباده المطيعين والمتقين، وبذلك يكون قد حقّق السعادة الأبدية.

١٣ - الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ): الاستبصار، تعليق حسن الموسوي الخراساني، دار الكتب الإسلامية، طهران. إيران، باب جواز أن تحج المرأة عن الرجل: الحديث ٣ - ج ٢ ص ٣٢٣.

١٤ - الشهيد الأول (ت: ٧٨٦ هـ): ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم. إيران، ط. ١٤١٩ هـ، ج ١ ص ٤٠.

ولكن لو كانت أحكام الشريعة - في كلّ الشؤون والوقائع - واضحةً وضوحاً كاملاً بديهيّاً للجميع، لكان تحديد الموقف العمليّ تجاه الشريعة أمراً ميسوراً لكلّ أحد، لأنّ كلّ إنسان يعرف أنّ الموقف العمليّ الذي تفرضه عليه تبعيّته للشريعة في الواجبات هو "أن يفعل"، وفي المحرّمات هو "أن يترك"، وفي المباحات هو "أنّه بالخيار إن شاء فعل، وإن شاء ترك"، ولما احتاج في تحديد الموقف العمليّ تجاه الشريعة إلى أيّ بحثٍ علميٍّ ودراسةٍ واسعةٍ.

ولكن بُعدنا الزمنيّ عن عصر التشريع، وأموراً أخرى، كانت سبباً لعدم وضوح عددٍ كبيرٍ من أحكام الشريعة واكتنافها بالغموض، ممّا أدّى إلى الغموض في تحديد الموقف العمليّ للإنسان المؤمن بالشريعة في كثيرٍ من الوقائع والأحداث، لأنّ الإنسان إذا لم يعلم نوع الحكم الذي تقرّره الشريعة في واقعةٍ ما، هل هو الوجوب أو الحرمة أو الإباحة، فسوف لن يعرف طبيعة الموقف العمليّ الذي يتحتّم عليه أن يتّخذه تجاه الشريعة في تلك الواقعة بحكم تبعيّته لها.

وعلى هذا الأساس كان من الضروريّ أن يوضع علمٌ يتولّى رفع الغموض عن الموقف العمليّ تجاه الشريعة في كلّ واقعةٍ، بإقامة الدليل على تعيين الموقف العمليّ، الذي تفرضه على الإنسان تبعيّته للشريعة، فكان علم الفقه هو العلم المتكفّل بالقيام بهذه المهمة.

خلاصة الدرس

يعتبر علم الفقه من أهم العلوم الإسلامية، وأقدمها تاريخاً، وأوسعها مادّةً، ونشأ في صدر الإسلام واستمرّ إلى يومنا الحاضر، وبرز فيه فقهاء كثيرون، منهم عباقرة مبدعون، فهو العلم الذي يبحث عن جميع مسائل الحياة الاجتماعية، ويحدّد الموقف الشرعيّ تجاهها.

وفي اللغة الفقه العلم بالشيء والفهم له، وأمّا في الاصطلاح: فهو علم الأحكام الشرعيّة من أدلّتها التفصيلية.

ومن الضروريّ على الإنسان المؤمن أن يعيّن في كلّ شأنٍ من شؤون الحياة الموقف العمليّ الذي تفرضه عليه هذه التبعيّة للشرعية الإسلامية، ويحدّد هل يفعل أو يترك؟.

وبعدنا الزمّيّ عن عصر التشريع، وأمور أخرى، كانت سبباً لعدم وضوح عددٍ كبيرٍ من أحكام الشريعة واكتنافها بالغموض، ممّا أدّى إلى الغموض في تحديد الموقف العمليّ للإنسان المؤمن بالشرعية في كثيرٍ من الوقائع والأحداث. وعلى هذا الأساس كان من الضروريّ أن يوضع علمٌ يتولّى رفع هذا الغموض عن الموقف العمليّ تجاه الشريعة في كلّ واقعة، بإقامة الدليل على تعيينه، الذي تفرضه على الإنسان تبعيُّته للشرعية، فكان علم الفقه هو العلم المتكفّل بالقيام بهذه المهمة.

أسئلة الدرس

- ١- ما هو تعريف علم الفقه؟
- ٢- ما معنى الفقه لغة واصطلاحاً؟
- ٣- ما هي الحاجة إلى علم الفقه؟

تعريف علم الفقه

أهداف الدرس

١. أن يستذكر الطالب تعريف علم الفقه.
٢. أن يستذكر موضوع علم الفقه.
٣. أن يدرك غاية علم الفقه.

ما هو علم الفقه؟

علم الفقه هو العلم الذي نعرف من خلاله الحكم الشرعي في كل واقعةٍ ويحدد الموقف العملي للمكلف، ليزيل الغموض من حوله، ويصبح واضحاً للمكلف كيف يتصرف فيه، ليكون بالتالي مطيعاً وتابِعاً مخلصاً للشرعة.

ولهذا يمكن القول: إنّ علم الفقه "هو علم استنباط الأحكام الشرعية، أو هو علم عملية الاستنباط"^١.
أو هو: "العلم بالأحكام الشرعية العملية عن أدلتها التفصيلية لتحصيل السعادة الأخروية"^٢.

شروط الفقيه وعملية الاستنباط

الفقيه: هو مَنْ يمارس إقامة الدليل على تعيين الموقف العملي في كل واقعةٍ من وقائع الحياة وناحيةٍ من مناحيها. وهذا ما يُطلق عليه في المصطلح العلمي اسم (عملية استنباط الحكم الشرعي). فاستنباط الحكم الشرعي في واقعةٍ، معناه إقامة الدليل على تحديد الموقف العملي للإنسان تجاه الشريعة في تلك الواقعة. والفقيه هو من يقوم بعملية الاستنباط هذه. ولا

-
- ١- الصدر (ت: ١٤٠٠ هـ): محمد باقر: المعالم الجديدة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف. العراق، ط. الثانية ١٩٧٥ م، ص ٧.
 - ٢- الشهيد الأول (ت: ٧٨٦ هـ): ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم. إيران، ط. ١٤١٩ هـ، ج ١ ص ٤٠.

يستطيع أي شخص أن يقوم بهذه العملية إلا إذا توقّرت فيه قوّة استنباط الأحكام من الأدلّة. ولكي تكون عنده هذه القوّة ينبغي أن يحصل على عدّة من العلوم، منها:

- . العلم بفنون اللغة العربيّة، والأنس بالمحاورات العرفيّة.
- . علم المنطق بمقدار تشخيص الأقيسة، وترتيب الحدود، وتنظيم الأشكال، وتمييز العقيم منها من السليم.
- . العلم بمهمّات مسائل أصول الفقه.
- . العلم برجال الحديث، لمعرفة الرجال الثقات وغيرهم الذين يقعون في سند الرواية، وتمييز المشتركين من الرجال، لمعرفة هل يمكن الاعتماد على ما نقلوه أم لا؟
- . القدرة على الفحص الكامل عن فتاوى المجتهدين من الخاصّة، ورؤساء مذاهب وفتاوى العامّة بل والفحص عن أخبارهم، والأحاديث المروية من طرقهم.
- . معرفة الكتاب والسنة، لغةً وعرفاً ودرايةً، ومعارضاتهما والقرائن الصارفة، وتفريع الفروع على الأصول. وهذا من أهمّ الأمور التي ينبغي أن تتوفّر في الفقيه.

قال الشهيد الأول في بيان شرائط الإفتاء عند الفقيه: "البلوغ والعقل والذكورة والإيمان والعدالة وطهارة المولد إجماعاً، والكتابة والحرية والبصر على الأشهر، والنطق وغلبة الذكر، والاجتهاد في الأحكام الشرعية وأصولها، ويتحقّق بمعرفة المقدمات الستّ وهي: الكلام، والأصول، والنحو، والتصريف، ولغة العرب، وشرائط الأدلّة، والأصول الأربعة وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، ودليل العقل...، نعم يشترط مع ذلك كلّ أن يكون له قوّة

يتمكّن بها من ردّ الفروع إلى أصولها واستنباطها منها. وهذه هي العمدة في هذا الباب، وإلا فتحصيل تلك المقدمات قد صارت في زماننا سهلة...^٣.

موضوع علم الفقه

بعد أن اتضح تعريف علم الفقه، يظهر منه موضوع هذا العلم، لأنّ الموضوع هو المحور الذي تدور حوله مسائل العلم، وهو في هذا المقام فعل المكلف، فإنّ مسائل الفقه كلّها تهدف إلى تحديد الموقف العمليّ للمكلف في أيّ واقعة أو مسألة يواجهها كما تقدّم، وعلى هذا كان موضوع علم الفقه هو: "فعل المكلف من حيث هو مكلف"^٤.

غاية الفقه

وأما غاية الفقه والفائدة المرجوة منه فهي: معرفة أحكام الله تعالى لأجل الالتزام بها وامثالها، ممّا يستدعي تحصيل السعادتين، وإن كانت الأخروية أهمّ، لذلك نجد أعظم علمائنا صرفوا أعمارهم في سبيل هذا العلم، وبذلوا جهودهم في تحصيل أحكام الله، لنيل مرضاته، قال في المدارك: "فإنّ أحقّ الفضائل بالتعظيم، وأحراها باستحقاق التقديم، وأتمّها في استجلاب ثوابه الجسيم، هو العلم بالأحكام الشرعيّة والوظائف الدينيّة، إذ به تحصل السعادة الأبدية، ويتخلّص من الشقاوة السرمديّة، فوجب على كلّ مكلفٍ صرف الهمة إليه وإنفاق هذه المهلة اليسيرة عليه"^٥، فإنّه المطلب الذي يظفر بالنجاح طالبه، والمغنم الذي يبشر بالأرباح كاسبه، والعلم الذي يعرج

-
- ٣- الشهيد الثاني زين الدين بن علي (ت: ٩٦٥ هـ): شرح اللمعة، منشورات مكتبة الداوري، قم - إيران، ط. ١٤١٠ هـ، ج ٣ ص ٦٦.
- ٤- الشهيد الأوّل (ت: ٧٨٦ هـ): ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. ١٤١٩ هـ، ج ١ ص ٤٠.
- ٥- العاملي، محمّد بن علي (ت: ١٠٠٩ هـ): مدارك الأحكام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. الأولى ١٤١٠ هـ، ج ١ المقدّمة ص ٤.

بحامله إلى الذروة العليا، بل ليس في العلوم بعد معرفة الله أشرف من علم الفقه، إذ به تعرف أوامر الله تعالى فتمتثل، ونواهيه فتجتنب. روى في الكافي عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إذا أراد الله بعبده خيراً ففقهه في الدين".^٦

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "الكمال كل الكمال التفقه في الدين، والصبر على النائية وتقدير المعيشة".^٧

خلاصة

إن علم الفقه هو العلم الذي نعرف من خلال الحكم الشرعي في كل واقعة ويحدد الموقف العملي للمكلف. الفقيه: هو من يمارس إقامة الدليل على تعيين الموقف العملي في كل واقعة من وقائع الحياة وناحية من مناحيها، وهذا ما يطلق عليه في المصطلح العلمي اسم (عملية استنباط الحكم الشرعي).
وأما موضوع علم الفقه فهو: "فعل المكلف من حيث هو مكلف"
وأما غاية علم الفقه فهي: معرفة أحكام الله تعالى لأجل الالتزام بها وامتنالها، مما يستدعي تحصيل السعادتين.

أسئلة الدرس

- ١- ما هو موضوع علم الفقه؟
- ٢- ما هي الغاية من علم الفقه؟
- ٣- من هو الفقيه؟ وما هي شروط الفقه؟

٦- الكليني: (ت: ٣٢٩ هـ): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران، ط. الثالثة ١٣٦٣ هـ.
ش.، باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء، ح ٣ ج ١ ص ٣٢.
٧- م.ن. ح ٤.

تعريف الحكم الشرعيّ وتقسيماته

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى الحكم التكليفي.
٢. أن يتعرّف إلى الحكم الوضعي.
٣. أن يعدّد مصادر التشريع.
٤. أن يقسّم الحكم الشرعيّ.

تعريف الحكم الشرعي

عرفنا أنّ علم الفقه يهدف إلى تحديد الموقف العمليّ للمكلّف، وتعيين الحكم الشرعيّ له في كلّ واقعة، لذلك نجد من الضروريّ أن نكوّن فكرةً عامةً عن الحكم الشرعيّ.

فقد عرّف الحكم الشرعيّ بعدّة تعاريف نختار منها ما ذكره الشهيد الصدر رضوان الله عليه حيث عرّفه بأنّه: "التشريع الصادر من الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان، سواء كان متعلّقاً بأفعاله أو بذاته أو بأشياء أخرى داخلية في حياته".^١

وحيث إنّ الهدف من الحكم هو تنظيم حياة الإنسان، نلاحظ أنّه يقسّم إلى قسمين:

١ - الحكم التكليفيّ: وهو الحكم الذي يتعلّق بأفعال المكلّفين، ويكون له توجيهٌ عمليّ مباشرٌ، فيوجّه سلوكه مباشرةً، في مختلف جوانب حياته، الشخصية والعباديّة والعائليّة والاقتصاديّة والسياسيّة، التي عاجلتها الشريعة ونظمتها جميعاً، كحرمة شرب الخمر، ووجوب الصلاة، ووجوب الإنفاق على الزوجة، وإباحة إحياء الأرض الموات، ووجوب العدل على الحاكم.

٢ - الحكم الوضعي: وهو الحكم الذي يتعلّق بذوات المكلّفين، أو بأشياء أخرى ترتبط بهم، فلا يكون موجّهاً مباشراً للإنسان في أفعاله وسلوكه، نعم يشترع وضعاً معيّناً يكون له تأثيرٌ غير مباشرٍ على سلوك الإنسان، من قبيل الأحكام

١ - الصدر (ت: ١٤٠٠ هـ): محمد باقر: المعالم الجديدة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط. الثانية ١٩٧٥ م، ص ١٠٠.

والخطابات التي تنظم العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، وتعتبر المرأة زوجة للرجل في ظلّ شروطٍ معيّنة، فإنّ العلاقة الزوجية الصحيحة تشترّ بصورة مباشرة علاقةً معيّنة بين الرجل والمرأة، وتؤثّر بشكلٍ غير مباشرٍ على السلوك وتوجّهه، لأنّ المرأة بعد أن تصبح زوجةً، مثلاً، عليها أن تلتزم بسلوكٍ معيّن تجاه زوجها كوجوب التمكين، كذلك يجب على الزوج أن يلتزم بتكاليف معيّنة تجاه زوجته كوجوب الإنفاق. وبالتالي نكون قد استفدنا من هذا الحكم أحكاماً تكليفيةً متعدّدة. وهذه الأحكام كلّها تنظّم حياة المكلف.

أو من قبيل الأحكام التي تنظم علاقة الملكية، وتعتبر الشخص مالكا للمال في ظلّ شروطٍ معيّنة. فبعد أن تتحقّق الشروط تصبح هذه الأرض مثلاً ملكاً صحيحاً لزيد، بالتالي تكون (الملكية) حكماً وضعياً، لا يتعلّق بفعل المكلف. ولا بذاته، وإنّما بالأرض التي ترتبط بالمكلفين، ولا يكون له توجيهٌ للمكلف مباشرةً، نعم نستفيد من هذا الحكم الوضعي أحكاماً تكليفيةً متعدّدة، من قبيل: يحرم على أيّ شخصٍ الدخول إلى أرض زيد إلا بإذنه، وهكذا.

فإنّ هذا النوع من الأحكام كـ(الزوجية) و(الملكية) ليست متعلّقة بأفعال المكلفين، بل بدواهم أو بأمورٍ ترتبط بهم، تستفاد منها أحكام تكليفية أخرى توجّه مباشرةً أفعال المكلفين، لذلك نجد العلاقة والارتباط بين الأحكام الوضعية والأحكام التكليفية وثيقة جداً، لذلك لا يوجد حكمٌ وضعيٌّ إلا ويوجد إلى جانبه حكمٌ تكليفيٌّ. والمجموع من هذه الأحكام يصبّ في خانة تنظيم حياة الإنسان.

أقسام الحكم التكليفي

ينقسم الحكم التكليفي وهو الحكم المتعلّق بأفعال الإنسان والموجّه لها مباشرةً إلى خمسة أقسام:

- ١ - الوجوب: وهو الحكم الشرعي الذي يبعث نحو الشيء الذي تعلّق به بدرجة الإلزام، بشكل لا يسمح الشارع بالمخالفة، نحو وجوب الصلاة، ووجوب الحجّ، ووجوب الصوم.
- ٢ - الاستحباب: وهو الحكم الشرعي الذي يبعث نحو الشيء الذي تعلّق به بدرجة دون الإلزام، لذلك توجد إلى جانبه دائماً رخصة وإجازة من الشارع في مخالفته، نحو استحباب صلاة الليل، واستحباب الصدقة، واستحباب الدعاء في ليالي القدر.
- ٣ - الحرمة: وهو الحكم الشرعي الناهي والزاجر عن الشيء الذي تعلّق به بدرجة الإلزام، بشكل لا يسمح الشارع بالمخالفة، نحو حرمة الربا، وحرمة الزنى، وحرمة بيع الأسلحة من أعداء الإسلام.
- ٤ - الكراهة: وهو الحكم الشرعي الناهي والزاجر عن الشيء الذي تعلّق به بدرجة دون الإلزام، لذلك توجد إلى جانبه دائماً رخصة وإجازة من الشارع في مخالفته، فالكراهة في مجال الزجر كاستحباب في مجال البعث، كما أنّ الحرمة في مجال الزجر كالوجوب في مجال البعث، ومثاله كراهة النوم بين الطلوعين، وكراهة خلف الوعد.
- ٥ - الإباحة: وهو الحكم الذي يفسح فيه الشارع المجال للمكلّف ليختار الموقف الذي يريده، حيث يخلو الشيء الذي تعلّق به حكم الإباحة من أيّ نحو من أنحاء الإلزام، ونتيجة ذلك أن يتمتّع المكلّف بالحرية فله أن يفعل وله أن يترك.

مصادر التشريع^٢

- ١ - القرآن الكريم: المصدر الأول للأحكام الإسلامية. ولا تختصّ آياته بالأحكام العملية، بل تعرّض القرآن لمئات المواضيع المختلفة، وأمّا التي

٢ - تعرّضنا لهذا البحث بشكل مفصّل في مدخل إلى علم الأصول تحت عنوان وسائل الإثبات أو مصادر التشريع، فراجع.

تختصّ بالأحكام فتقارب خمس مائة آية، جمعت في كتب آيات الأحكام^٣. ويعدّ القرآن الكريم المرجع الأول لدى المسلمين وعلمائهم للأحكام الشرعية، إلّا فرقةً واحدة عرفت باسم الأخباريين لم تجوّز الرجوع إلى ظواهر القرآن لأنّه لا يعرفه إلّا من خوطب به، وهو المعصوم عليه السلام^٤.

^٢- السنّة الشريفة: وهي قول وفعل وتقرير المعصوم عليه السلام، ولم يقع أي خلاف في حجّية السنّة والاعتماد عليها، ولكن الخلاف وقع بين الفقهاء في جهتين:

الأولى: هل الحجّة خصوص سنّة النبيّ - كما عليه أتباع مدرسة الخلفاء - أم أنّ الحجّة تشمل سنّة الأئمة عليهم السلام أيضاً - كما عليه أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام ؟

الثانية: تارة تكون السنّة قطعية ومتواترة، وأخرى تكون ظنيّة وهي ما يصطلح عليه بخبر الواحد، والأوّل هي القدر المتيقّن من حجّيتها. ولكن وقع الكلام في حجّية خبر الواحد، وتشعبت الآراء بين الإفراط، كأبي حنيفة الذي لا يحفل بالأحاديث المنقولة حتّى قيل: لم يثبت عند أبي حنيفة - من بين جميع الأحاديث المنقولة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سوى سبعة عشر حديثاً، وبين التفريط كبعض العلماء الذين يعتمدون حتّى على الأحاديث الضعيفة أيضاً، أو كالأخباريين الذين يعملون بكلّ الأحاديث الموجودة في الكتب الأربعة، وبين الاعتدال وهو رأي المشهور من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين يعتمدون على الأحاديث الصحيحة والحسنة والموثقة ويتركون الضعيفة.

^٣- الإجماع: وهو يعني اتفاق آراء علماء المسلمين على مسألة. وهو يعتبر حجّة، لأنّ اتفاقهم هذا دليل على أنّهم قد تلقّوها من قبل الشارع، إذ ليس من المحتمل أن يتفقوا جميعاً من تلقاء أنفسهم، وعليه يكون الإجماع حجّة إذا كان كاشفاً عن رأي المعصوم عليه السلام.

٣- أشهر هذه الكتب كتاب «آيات الأحكام» للمقدّس الأردبيلي، وكنز العرفان للفاضل المقداد السيوري.

٤- وقد تعرّضنا للحركة الأخبارية نشأة وآراء في مدخل علم الأصول، فراجع.

٥- راجع: مطهري. مرتضى، مدخل إلى الفلسفة، دار نور المصطفى ط. ٢٠٠٧، ص ١٤ من كتاب الأصول والفقه

ومن هذا التعريف يفهم أنّه لا عبرة بإجماع المتأخرين إذا لم يُستكشف منه رأي المعصوم عليه السلام، كما أنّه لا عبرة بالإجماع بما هو إجماع، وإنّما بما هو كاشف عن رأي المعصوم عليه السلام، بينما يرى أتباع مدرسة الخلفاء أنّ إجماع الأئمة بنفسه حجة، تماماً كالقرآن والسنة، لأنّه من المستحيل أن يقع الجميع في الخطأ.

٤- العقل: يعني أنّه إذا حكم العقل حكماً قطعياً في مورد من الموارد كان حكمه حجةً.

وقد اختلف المسلمون في مدى حجّة العقل، فأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يرون الحجّة للعقل في الموارد القطعية فقط، وأمّا القياس فهو اتباع للظنّ و﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^٦، مضافاً إلى أنّ العمومات الواصلة من قبل الشارع وافية بالغرض.

وأمّا الأخباريون منهم فلا يميزون الرجوع إلى العقل إطلاقاً، لأنّ دين الله لا يصاب بالعقول. ومن هنا شتوا حملة كبيرة على الاجتهاد، لما فيه من إعمال للعقل، ونتج عن ذلك محاربتهم لعلم الأصول^٧.

وأمّا أتباع مدرسة الخلفاء فالمذهب الحنفي يرى القياس - الذي هو عبارة عن التمثيل المنطقي - دليلاً رابعاً.

بينما "المالكيون والحنابلة لا يعيرون أيّ أهمية للقياس، وعلى الأخصّ الحنابلة. أمّ الشوافع فإنّهم - تبعاً لرعيهم محمد بن إدريس الشافعي - يتأرجحون في الوسط إذ يهتمّون بالحديث أكثر من الأحناف، بينما يهتمّون بالقياس أكثر من المالكيين والحنابلة"^٨.

٦- يونس: ٣٦.

٧- وقد تعرّضنا لمعنى الاجتهاد وتطوّره والصراع بين الأصوليين والأخباريين في: مدخل إلى علم الأصول.

٨- مطهري - مرتضى، مدخل إلى الفلسفة، دار نور المصطفى ط. ٢٠٠٧، ص ١٦ من كتاب الأصول والفقه.

خلاصة الدرس

عُرفَ الحكم الشرعيّ بأنّه "التشريع الصادر من الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان، سواء كان متعلقاً بأفعاله أو بذاته أو بأشياء أخرى داخلية في حياته".

وحيث إنّ الهدف من الحكم هو تنظيم حياة الإنسان، نلاحظ أنّه يقسّم إلى قسمين:

- ١ - الحكم التكليفيّ: وهو الحكم الذي يتعلّق بأفعال المكلفين.
- ٢ - الحكم الوضعيّ: وهو الحكم الذي يتعلّق بذوات المكلفين، أو بأشياء أخرى ترتبط بهم.

ينقسم الحكم التكليفيّ إلى خمسة أقسام: (الوجوب، الحرمة، الاستحباب، الكراهة، الإباحة).

مصادر التشريع: القرآن الكريم، السنّة الشريفة، الإجماع، العقل.

وقد وقع الخلاف في كلّ من الإجماع والعقل، وهل هما من المصادر؟ وعلى فرض كونهما منها إلى أيّ مدى يمكن الاعتماد عليهما؟

أسئلة الدرس

- ١ - ما هو تعريف الحكم الشرعيّ؟
- ٢ - ما الفرق بين الحكم الوضعيّ والحكم التكليفيّ؟
- ٣ - ما هي مصادر التشريع وتحدّث عن واحدٍ منها؟

أبواب الفقه ومسائله

أهداف الدرس

١. أن يتعرف الطالب إلى أبواب الفقه.
٢. أن يعدد أهم مسائل علم الفقه.

تقسيم علم الفقه

بذل الشيخ الطوسي جهداً جباراً في تبويب الفقه وأكثر من تفرعات الفقه على الأصول، واستحدث فروعاً جديدة، إلا أنه بقي هناك نوعٌ من التشويش في التبويب. لكن في مدرسة الحلة ولأول مرةً نلتقي بكتاب الشرايع للمحقق الحلي رضوان الله عليها الذي قام بتنظيم فريدٍ لأبواب الفقه، استمرّ عليه فقهاء الشيعة إلى العصر الحاضر: فقسّم المحقق كتابه الشرايع إلى أقسام أربعة: العبادات، العقود، الإيقاعات، الأحكام. وهذا تقسيمٌ رائعٌ يجمع مختلف أبواب الفقه.

يبتنى هذا التقسيم على القسمة الثنائية الدائرة بين السلب والإيجاب:

فالحكم الشرعيّ إمّا أن يتقوّم بقصد القرية أم لا، والأوّل العبادات.

والثاني إمّا أن يحتاج إلى اللفظ من الجانبين الموجب والقابل أو من جانبٍ واحدٍ، أو لا يحتاج إلى اللفظ، فالأوّل العقود، كالبيع والإجارة، والثاني الإيقاعات، كالطلاق والعق، والثالث الأحكام كالديّات والميراث والقصاص، وبذلك تندرج جميع أبواب الفقه في أقسام أربعة.

القسم الأوّل: العبادات

وهي الأحكام التي يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، وهي على نحوين:

١ - ما يكون بالأقوال: كالقراءة والتسبيح والتكبير في الصلاة.

- ٢- ما يكون بالأفعال: كالطهارة للصلاة، أو الطواف، وكالصوم.
- ٣- ما يكون بالأموال: كالصدقات، والزكاة.
- ٤- ما يكون بالأموال والأفعال: كالحج.
- ٥- ما يكون بالأقوال والأفعال: كالصلاة.

وقد أدرج العلامة في الشرائع تحت هذا القسم عشرة كتب^١:

- ١- كتاب الطهارة.
- ٢- كتاب الصلاة.
- ٣- كتاب الزكاة.
- ٤- كتاب الخمس.
- ٥- كتاب الصوم.
- ٦- كتاب الاعتكاف.
- ٧- كتاب الحج.
- ٨- كتاب العمرة.
- ٩- كتاب الجهاد.
- ١٠- كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإنما فصل الاعتكاف عن الصوم، لأنه غير الصوم، وإن كان الصوم من شرائطه، وكذلك فصل العمرة عن الحج لأنها غيره، وإن اشتركا عملاً للحاج، ولكن قد يفترقان في العمرة المفردة. ولم يفصل بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لوحدة الحكم فيهما من جميع الجهات.

١- الحلي . جعفر بن سعيد (ت: ٦٧٦ هـ): شرائع الإسلام، تحقيق وتعليق: صادق الشيرازي، منشورات: استقلال، طهران . إيران، ط. الثانية ١٤٠٩ هـ ج ١ ص ٨.

القسم الثاني: العقود

ذكر العلامة في هذا القسم ستّة عشر كتاباً:

- ١- كتاب التجارة، ويدخل فيه البيع.
- ٢- كتاب الرهن.
- ٣- كتاب المفلس.
- ٤- كتاب الحجر.
- ٥- كتاب الضمان.
- ٦- كتاب الصلح.
- ٧- كتاب الشركة.
- ٨- كتاب المضاربة.
- ٩- كتاب المزارعة والمساقاة.
- ١٠- كتاب الوديعة.
- ١١- كتاب العارية.
- ١٢- كتاب الإجارة.
- ١٣- كتاب الوكالة.
- ١٤- كتاب الوقف.
- ١٥- كتاب الهبة.
- ١٦- كتاب النكاح.

القسم الثالث: في الإيقاعات

وهي أحد عشر كتاباً:

- ١- كتاب الطلاق.
- ٢- كتاب الخلع والمباراة.
- ٣- كتاب الظهار.

٤ - كتاب الإيلاء.

٥ - كتاب اللعان.

٦ - كتاب العتق.

٧ - كتاب التدبير.

٨ - كتاب الإقرار.

٩ - كتاب الجعالة.

١٠ - كتاب الأيمان.

١١ - كتاب النذر.

القسم الرابع: في الأحكام

وفيه اثنا عشر كتاباً:

١ - كتاب الصيد والذباحة.

٢ - كتاب الأطعمة والأشربة.

٣ - كتاب الغصب.

٤ - كتاب الشفعة.

٥ - كتاب إحياء الموات.

٦ - كتاب اللقطة.

٧ - كتاب الفرائض.

٨ - كتاب القضاء.

٩ - كتاب الشهادات.

١٠ - كتاب الحدود والتعزيرات.

١١ - كتاب القصاص.

١٢ - كتاب الديّات.

وبهذا التقسيم يكون قد أدرج العلامة الحلّي كلّ مواضيع الفقه، وسار من جاء بعده على هذا التقسيم، وإن حاول المتأخرون من العلماء التغيير في هذا التقسيم، إلا أنّه لا يعدّ ذلك التغيير الكبير، ولا يتعدّى إلحاق بابٍ أو كتابٍ بكتابٍ آخر، وإن كان محلّ كلامٍ ونقاش.

خلاصة الدرس

بذل الشيخ الطوسي جهداً جباراً في تبويب الفقه وأكثر تفريعات الفقه على الأصول، واستحدث فروعاً جديدة، إلا أنّه بقي هناك نوعٌ من التشويش في التبويب. لكن في مدرسة الحلة ولأوّل مرّة نلتقي بكتاب الشرايع للمحقّق الحلّي رضوان الله عليه الذي قام بتنظيم فريدٍ لأبواب الفقه، استمرّ عليه فقهاء الشيعة إلى العصر الحاضر: فقسّم المحقّق كتابه الشرايع إلى أقسام أربعة: العبادات، العقود، الإيقاعات، الأحكام. وهذا تقسيمٌ رائع يجمع مختلف أبواب الفقه.

أسئلة الدرس

- ١ - اذكر التقسيم الذي جاء به المحقّق الحلّي لأبواب الفقه.
- ٢ - ما الفرق بين العقود والإيقاعات؟
٣. بماذا يتقوّم الحكم الشرعيّ.

تطّور الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى الأدوار الثلاثة للفقه في مدرسة أهل البيت وخصائصها.

بداية التشريع

لقد كان المسلمون في راحةٍ في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة التعرّف إلى أحكامهم الشرعيّة، وذلك لسببين رئيسين هما:

- ١- وجود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينهم، وهو مصدر التشريع الأساس بعد الله سبحانه، فهم كلّما تعرّضوا لمشكلةٍ سارعوا إليه في حلّها.
- ٢- محدوديّة دائرة الدولة الإسلاميّة، وعدم مواجهة المسلمين للمشاكل والمسائل الكثيرة، كما حدث ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم. حيث احتاجوا إلى الفحص عن أحكامهم في كلّ مستجدّاتهم.

القرآن والعترة

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بما سيواجه الأُمّة من بعده من مشاكل ومسائل، فجعل مصدرين مهمّين يلجأ إليهما المسلمون في حلّ مشاكلهم، هما القرآن الكريم والعترة الطاهرة. وقد صرّح بذلك مراراً في طول حياته الشريفة، فقال: "إني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسّكنم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً"، فجعلهما في عرضٍ واحدٍ، وحثّ المسلمين على اتباعهم والتمسّك بهم. وبذلك يكون قد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنّ القرآن - وإن كان هو المصدر الأصيل

-
- ١- راجع: مسند أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت. لبنان، ج ٣ ص ١٤ و ١٧. وج ٤ ص ٣٧١. وج ٥ ص ١٨٢ و ١٨٩. عبد الله بن بهرام الدارمي (ت: ٢٥٥ هـ): سنن الدارمي، مطبعة الاعتدال، دمشق. سوريا، ط. ١٣٤٩ هـ، ج ٢ ص ٤٣٢. ومسلم النيسابوري: (ت: ٢٦١): صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت. لبنان، ج ٧ ص ١٢٣.

للتشريع - لكنّه يحتاج إلى مفسّرٍ، فجعل عترته الطاهرة - وهم الذين تربّوا في حجره وفي بيته الذي نزل فيه القرآن - هي المرجع في تفسيره.

وبعد أن واجه المسلمون مسألة الخلافة بعد الرسول، حصل الانشقاق بينهم إلى فريقين: الأول اتبع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتمسّك بالكتاب والعترّة معاً، والآخر رفض التمسّك بالعترّة وقال: "حسبنا كتاب الله"^٢. وكان لهذا الانشقاق أثره الكبير في كَيْفِيَّة التفكير، وحلّ المشكلات.

أدوار الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

ويمكن حصر الأدوار التي مرّ بها الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام حتّى عصر الغيبة الكبرى في ثلاثة أدوار تقريباً هي:

١ - من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام.

٢ - من بداية عصر الإمامين الصادقين عليهما السلام حتّى نهاية الغيبة الصغرى.

٣ - من بداية الغيبة الكبرى حتّى يومنا هذا.

لدور الأوّل

ويتبدّى هذا الدور من زمن وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتّى انتهاء القرن الأوّل. وتشمل هذه الفترة حياة أئمّة أربعة من أئمتنا، وهم عليّ بن أبي طالب، والحسن بن عليّ، والحسين بن عليّ، وعليّ بن الحسين عليهم السلام.

وكان مصدر التشريع في هذا العهد عند الشيعة أتباع أهل البيت عليهم السلام الكتاب والسنة، ونقصد بالسنة، قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام عليه السلام و فعلهما و تقريرهما.

وأما القياس والرأي فقد رفضهما أتباع هذه المدرسة رفضاً باتاً كما تقدّم^٣.

٢- مسند أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت. لبنان، ج ١ ص ٣٢٥.

٣- راجع مدخل إلى علم الأصول من إصدارات المركز تحت عنوان «الخلاف في السنة» ص ٣٣، و «الإجتهد ومدرسة الرأي» ص ٤٧.

وقد روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: "لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخفّ أولى بالمسح من أعلاه".^٤

وأما الإجماع - مهما كان تفسيره - فهو ليس مصدراً للتشريع لدى هذه المدرسة، لأنّه لا يفيد إلا الظنّ و﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^٥. نعم أصبح مصدراً عندما اعتبر كاشفاً عن رأي المعصوم عليه السلام، بمعنى أنّه لو اتفق العلماء على رأيٍ وانكشف منه أنّ ذلك الرأي مطابق لرأي الإمام عليه السلام فيجب الأخذ به.

وملخص الكلام في هذه المرحلة: أنّ فهم الحكم الشرعيّ آنذاك عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام كان عبارةً عن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة. وكان أتباع هذه المدرسة يرجعون فيما يحدث لهم من مشاكل إلى الأئمة عليهم السلام. وكان للأئمة عليهم السلام دور هامّ في بيان الأحكام في هذه المرحلة، لا سيّما الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حيث كان يرجع إليه الصحابة في كلّ مشكلةٍ تواجههم لم يجدوا لها حلاً.

الدور الثاني

ويتدبّر هذا الدور من أوائل القرن الثاني حتّى أواخر القرن الثالث، أي من بداية إمامة الإمام محمد بن عليّ الباقر عليه السلام حتّى نهاية الغيبة الصغرى. ومن أبرز ميّزات هذا الدور هو فسخ المجال - في بدايته - للأئمة عليهم السلام كي يمارسوا أعمالهم العلميّة، وذلك لأنّ المرحلة التي عايشها الإمامان الصادقان عليهما السلام كانت مرحلة انتقال الحكم من الأمويّين إلى العباسيّين، حيث كان الخلفاء مشغولين عن أهل البيت عليهم السلام بحروبهم الداخليّة، فاعتنم الإمامان الصادقان عليهما السلام هذه

٤ - ابن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ): سنن أبي داود، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط. الأولى ١٩٩٠م، ج ١ ص ٤٤.

٥ - يونس: ٣٦.

الفرصة لنشر العلم عبر حلقاتٍ للدرس، تضمّ الكثيرين من رواد المعرفة.

ولكن سرعان ما واجهت هذه المدرسة الضغط السياسيّ الشديد بعد استلام العباسيّين الحكم، حيث زجّوا بأئمة الشيعة في السجون والمعتقلات، وفقدوا بذلك الفرصة المناسبة لنشر علومهم.

ويمكن القول إنّ استنباط الأحكام الشرعيّة من الكتاب والسنة - بالمعنى الاصطلاحيّ - كان أمراً رائجاً بين أصحاب الأئمة عليهم السلام، خاصّة الذين تربّوا في مدرسة الإمامين الصادقين عليهما السلام أمثال زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبان بن تغلب، وغيرهم، حتّى أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يأمرّون بعض أصحابهم باستنباط الأحكام وإفتاء الناس، كما أمر الإمام الباقر عليه السلام أبان بن تغلب أن يجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويفتي الناس حيث قال له: "اجلس في مسجد المدينة، وافت الناس، فإني أحبّ أن يرى في شيعتي مثلك"^٦، أو كما قال الإمام الصادق عليه السلام لسائلٍ سأله عن المسح على مرارةٍ وضعها على ظفره المقطوع: "يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^٧ إمسح عليه"^٨. وهكذا نرى كيف يعلم الإمام عليه السلام هذا السائل كيفية استنباط الحكم الشرعيّ من الكتاب.

مميزات هذه المرحلة

لقد ضمت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام أكثر من أربعة آلاف من حملة العلم. وقد ألّف أربعمئة منهم أصولاً يُعتمد عليها في الفقه الجعفري عُرفت

٦- المازندراني: مولى محمد صالح (ت: ١٠٨١)، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط. الأولى ١٤٢١ هـ، بيروت - لبنان، ج ١١ ص ٨٤.

٧- الحج: ٧٨.

٨- الحرّ العامليّ (ت: ١١٠٤ هـ): وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. الثانية ١٤١٤ هـ، باب: إجزاء المسح على الجبائر في الوضوء، الحديث ٥ ص ٤٦٤.

ب(الأصول الأربعمئة)، جُمعت في أربع موسوعاتٍ روائيةٍ اشتهرت بإسم الكتب الأربعة وهي:

- ١- الكافي: للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩ هـ.
- ٢- من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن عليّ القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ.
- ٣ و ٤- التهذيب والاستبصار: كتابان لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ.

ووضعت في هذا الدور نواة القواعد العامة للفقهاء الجعفريين، ونقلت إلينا بشكل روايات، ثم وضعت على طاولة البحث العلمي، فكانت نتيجة ذلك بروز القواعد الأصولية والفقهية التي يعتمد عليها في الاجتهاد والاستنباط حتى اليوم من قبيل: "الاستصحاب، والبراءة الشرعية، وقاعدة البد، وترجيح الروايات المتعارضة، والعمل بالخبر الواحد، وأمثال ذلك". وهذه كلها لها أهميتها الخاصة التي تميز المذهب عن غيره، وتجعله غنياً يماشي احتياجات كل عصرٍ من دون تحريف. ولو قارنا مذهب أهل البيت عليهم السلام مع غيره من المذاهب الأخرى، لرأينا فرقاً كبيراً من جهة توفر القواعد الفقهية والأصولية فيه، وعدم توفرها في غيره.

لدور الثالث

ويتدئ هذا الدور من بداية الغيبة الكبرى، حتى عصرنا الحاضر.

مميزات هذا الدور

ومن مميزات نيابة العلماء والفقهاء عن الإمام عليه السلام في زعامة المذهب وذلك بأمر من الإمام المنتظر عند بداية الغيبة الكبرى، فقد ورد في التوقيع المشهور: "...وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم

حجّتي عليكم وأنا حجّة الله"^٩. فكان العلماء هم المرجع الوحيد لحلّ المشاكل التي كانت تواجه الشيعة منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا.

وقد مارس الفقهاء عملية الاستنباط من الكتاب الكريم والسنة الشريفة مستعينين بالقواعد التي مهّدها الأئمة عليهم السلام في الدور الثاني، فكانت هذه القواعد مبنوثة في الكتب الفقهيّة أو الروائيّة وتذكر حسب الحاجة إليها. ولكن سرعان ما التفت الفقهاء إلى ضرورة استخراجها بشكل منفصل عن البحث الفقهيّ، فألف السيد المرتضى { المتوفّى سنة ٤٣٦ هـ كتابه (الذريعة إلى أصول الشريعة)، بحث فيه عن أتمّها القواعد الأصولية.

وقد كانت الكتب الفقهيّة على شكل كتبٍ روائيةٍ، ثم أخذت تتّسع حتّى ظهرت بشكل كتبٍ فقهيّةٍ مبنوّةٍ، واستدلاليةٍ مبتنّاةٍ على القواعد العامّة. وممّن كان لهم الأثر الكبير في هذه الظاهرة:

- ١- الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان المتوفّى سنة ٤١٣ هـ.
- ٢- السيد المرتضى علم الهدى المتوفّى سنة ٤٣٦ هـ تلميذ الشيخ المفيد.
- ٣- شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ، الذي كان أكثرهم جهداً في هذه العملية، حيث ألف عدّة كتبٍ فقهيّةٍ وروائيّةٍ وأصوليّةٍ منها: "الخلاف" و"النهاية" و"المبسوط" في الفقه، و"التهذيب" و"الاستبصار" في الحديث، وكتاب "العدّة" في أصول الفقه.

ويشير هو إلى هذا التحوّل العظيم في الفقه في مقدّمة كتابه المبسوط فيقول: "أمّا بعد فإنّي لا أزال أسمع معاصر مخالفينا من المتفكّهة والمنتسبين إلى علم الفروع، يستحقرون فقه أصحابنا الإماميّة ويستنزونه، وينسبونهم

٩- الحرّ العامليّ (ت: ١١٠٤ هـ): وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. الثانية ١٤١٤ هـ، باب: وجوب الرجوع في القضاء والفتوى إلى رواية الحديث، الحديث ٨ ص ١٤٠.

إلى قلة الفروع وقلة المسائل، ويقولون: إنهم أهل حشوٍ ومناقضةٍ، وإن من ينفي "القياس" و"الاجتهاد" لا طريق له إلى كثرة المسائل، ولا التفريع على "الأصول"، لأنّ جلّ ذلك وجمهوره مأخوذٌ من هذين الطريقتين، وهذا جهل منهم بمذاهبنا وقلة تأمل "لأصولنا"، ولو نظروا في أخبارنا وفقهنا لعلموا أنّ جلّ ما ذكره من المسائل موجودٌ في أخبارنا.... وأما ما كتروا به كتبهم من مسائل الفروع فلا فرع من ذلك إلا وله مدخلٌ في أصولنا ومخرجٌ على مذاهبنا، لا على وجه القياس، بل على طريقة توجب علماً يجب العمل عليها، ويسوغ الوصول إليها، من البناء على الأصل، وبراءة الدّعة، وغير ذلك.... وكنت على قديم الوقت وحديثه، متشوّق النفس إلى عمل كتابٍ يشتمل على ذلك، تتوق إليه نفسي، فتقطعني عن ذلك القواطع، وتشغلني الشواغل، وتضعف تيّتي أيضاً فيه قلة رغبة هذه الطائفة فيه، وترك عنايتهم به، لأنّهم ألقوا الأخبار وما روه من صريح الألفاظ، حتّى أنّ مسألة لو غيّر لفظها، وعبر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم، لعجبوا منها، وقصر فهمهم عنها...^{١٠}.

ومن خلال هذا النصّ نرى كيف تحوّل الفقه - في هذا الدور - من الاقتصار على الروايات، إلى تفريع الفروع على الأصول بصورة موسّعة.

ومن خلال هذه الأدوار نلاحظ كيف ترعرع علم الأصول في أحضان علم الفقه، فكّلما اتسعت الدائرة في علم الفقه، والحاجة إلى تحديد الأحكام الشرعيّة، والموقف من المسائل المستحدثة، كلّما زادت الحاجة إلى علم الأصول أكثر، واستخراج القواعد التي يعتمد عليها في عمليّة الاستنباط.

١٠ - الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ): المبسوط، تصحيح وتعليق محمّد تقي الكشفي، منشورات المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، طهران . إيران، ط. ١٣٨٧، ج ١ مقدّمة المؤلّف ص ١.

خلاصة الدرس

لقد كان المسلمون في راحةٍ في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة التعرّف إلى أحكامهم الشرعيّة، وذلك لسببين رئيسين هما:

- ١ - وجود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينهم.
- ٢ - محدوديّة دائرة الدولة الإسلاميّة، وعدم مواجهة المسلمين للمشاكل والمسائل الكثيرة.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بما سيواجه الأمة من بعده من مشاكل ومسائل، فجعل مصدرين مهمّين يلجأ إليهما المسلمون في حلّ مشاكلهم، هما القرآن الكريم والعترة الطاهرة. وبعد أن واجه المسلمون مسألة الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حصل الانشقاق بينهم إلى فريقين: الأول اتبع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتمسّك بالكتاب والعترة معاً، والآخر رفض التمسّك بالعترة وقال: "حسبنا كتاب الله".

ويمكن حصر الأدوار التي مرّ بها الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام حتّى عصر الغيبة الكبرى في ثلاثة أدوار تقريباً هي:

- ١ - من بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام.
 - ٢ - من بداية إمامة الإمام الباقر عليه السلام حتّى نهاية الغيبة الصغرى.
 - ٣ - من بداية الغيبة الكبرى حتّى يومنا هذا.
- وكان لكلّ دور خصائصه ومميّزاته وأعلامه ومؤلفاتهم.

أسئلة الدرس

١. ما هي الفترة الزمنية التي امتد فيها الدور الفقهي الأول؟
- ٢- ما هي الفترة الزمنية التي امتد فيها الدور الفقهي الثاني؟ وما هي مميزاتة؟
- ٣- ما هي الفترة الزمنية التي امتد فيها الدور الفقهي الثالث؟ وما هي مميزاتة؟

المدارس الفقهيّة الشيعيّة (١) المدينة المنورة – الكوفة

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى مدرسة المدينة المنورة.
٢. أن يتعرّف إلى مدرسة الكوفة.

عندما نتحدث عن مدرسة فقهية في بلدٍ خاصٍ كالمدينة، أو الكوفة أو بغداد أو النجف، فنحن لا نعني أنَّ الفقه وكلَّ المدارس الفقهية قد تركزت في هذا البلد، وأنَّ رواد هذه المدرسة لم يتجاوزوا هذه النواحي قطّ، ولم يكن لهم أيّ دورٍ في تكوين مدرستهم في بلدانٍ أخرى. وإنما نعني أنَّ هذه المدرسة بلغت نضجها وكمالها الخاصَّ في هذا البلد بالخصوص، وكان لها الأثر الكبير في تكوينها وبلورتها، وإن كان للبلدان الأخرى دورٌ وتأثيرٌ في تكوينها وبلورتها، وتركت آثاراً في تكامل هذه المدرسة.

فقد مرَّ على الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام مراحل مختلفة، من الصعب تحديدها تحديداً دقيقاً، ولكن يمكن حصرها على وجه التقريب في بعض المدارس الكبرى بحسب العصور.

١ - مدرسة المدينة المنورة

وعصرها هو عصر الصحابة والتابعين لهم. فقد ظهر الفقه من حين ظهور المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، واستمرت الحركة العلمية والفقهية إلى حياة الإمام الصادق عليه السلام، فكانت المدينة المنورة هي المنطلق الأوّل للرسالة الإسلامية، والمدرسة الأولى للفقه الإسلامي، وكانت الوطن الأوّل لفقهاء الشيعة، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فكان من فقهاء الصحابة - بعد

الإمام أمير المؤمنين والزهراء والحسين عليهما السلام وهم الذين تولّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تربيتهم وتعليمهم:

ابن عباس، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع إبراهيم مولى رسول الله، قال النجاشي: "أسلم أبو رافع قديماً بمكة، وهاجر إلى المدينة، وشهد مع النبي مشاهدته، ولزم أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، وكان من خيار الشيعة، وشهد معه حروبه، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة"^١ "ولأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضاء"^٢.

وكان من التابعين جمع كثير من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حفظوا السنة النبوية، وتداولوها فيما بينهم، ونقلوها إلى الأجيال التي تليهم بأمانة، حتى قال الذهبي: "فهذا (أي التشيع) كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين، والورع والصدق، فلو ردّ حديث هؤلاء (أي الشيعة) لذهبت جملة الآثار النبوية"^٣.

في عهد الخليفة الثاني

منع عمر بن الخطاب من تدوين السنة النبوية لعوامل عدّة، فبقيت في صدور الصحابة والتابعين يتناقلونها حتى خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث أمر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري بتدوينه، فلم يتفق لمحدثي غير الشيعة من الصحابة والتابعين تدوين السنة النبوية قبل هذا الوقت، ولكن فقهاء الشيعة دونوا عدّة مدونات حديثية مهمة، فكان أمير المؤمنين عليه السلام أول من صنّف في الفقه، ودون الحديث النبوي، ولم يوافق عمر بن الخطاب على رأيه. قال السيوطي في تدريب الراوي: "كان بين السلف من الصحابة والتابعين

١- النجاشي (ت: ٤٥٠ هـ): رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامية التابعة لجامعة المدرّسين، بقم المشرفة - إيران، ط. الخامسة ١٤١٦ هـ، ذكر الطبقة الأولى، ص ٤.

٢- م. ن. ص ٦.

٣- الذهبي، (ت: ٧٤٨ هـ)، ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت. لبنان، ط. الأولى ١٣٨٢ هـ ج ١ ص ٦.

اختلافٌ كثيرٌ في كتابة العلم، فكرهها كثيرٌ منهم، وأباحتها طائفة وفعلوها: منهم: عليّ وابنه الحسن^٤.

وفي كتاب الكافي عن يحيى بن جرير قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: "كان سعيد بن المسيّب والقاسم بن محمّد بن أبي بكر، وأبو خالد الكابليّ، من ثقات عليّ بن الحسين عليهما السلام"^٥.

والخلاصة أنّه كان فقهاء الشيعة وعلى رأسهم أئمة المسلمين من أهل البيت عليهم السلام، يقودون الحركة الفكرية في العالم الإسلاميّ، وانطلقت هذه الحركة من المدينة المنورة بشكلٍ خاصّ، وبلغ هذا الازدهار الفكريّ غايته في عهد الإمام الصادق عليه السلام فازدهرت المدينة في عصره، وزخرت بطلاب العلوم ووفود الأقطار الإسلاميّة، وانتظمت فيها حلقات الدرس، وكان بيته جامعةً إسلاميّةً يزدهم فيه رجال العلم، وحمة الحديث، من مختلف الطبقات ينتهلون من موارد علمه.

قال الشيخ المفيد عن الإمام الصادق عليه السلام: "ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان. ولم يُنقل عن أحدٍ من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحدٌ منهم من أهل الآثار ونقّلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجلٍ"^٦.

٤- نقلاً عن الأمين(ت: ١٣٧١). محسن، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط. ١٩٨٣ م، ج ١ ص ٨٨.

٥- الكليني: (ت: ٣٢٩ هـ): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران - إيران، ط. الثالثة ١٣٦٣ هـ. ش. باب: مولد أبي عبد الله جعفر بن محمّد، ج ١ ح ١ ص ٤٧٢.

٦- المفيد (ت: ٤١٣ هـ): الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، منشورات دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط. الثانية ١٤١٤ هـ. ج ٢ ص ١٧٩.

ملاحم المدرسة

كانت ملاحم المدرسة الفقهيّة في المدينة المنوّرة بدائية إلى حدّ ما، ولم تتبلور المسائل الخلافية في الفقه بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الخلفاء، كما تبلورت بعد في مدرسة الكوفة على يد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام واستمرّت إلى أيام الإمام الرضا عليه السلام. فالاختلاف في القياس والاستحسان والرأي والاجتهاد، ومسائل الصلاة والوضوء والحجّ والخلافة، لم تظهر واضحة في هذه الفترة بالذات.

"ولم تكن هناك كتبٌ فقهية تعنى بالفتاوى خارج نطاق المدوّنات الحديثية. كما لم تتبلور بعد لدى فقهاء الشيعة صياغة المقاييس الخاصة للاجتهاد والفتيا بصورة كاملة، والمقاييس الخاصة لمعالجة الأخبار المتعارضة، فلم يكثر الحديث بعد عن أهل آل البيت عليهم السلام، ولم يدرس في حديثهم بعد الشيء الكثير من الحديث المدسوس، ولم يشقّ على الفقهاء الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام للسؤال فيما يعرضهم من حاجة، أو ما يعرض الناس، فلم تظهر حاجة ملحّة إلى اتخاذ مقاييس للرأي والاجتهاد، ومقاييس لمعالجة الأحاديث المتعارضة، ومعرفة السقيم منها من الصحيح، ولم يراجعوا الأئمة في شيء من ذلك، ولذلك كان البحث الفقهي في هذا الدور يقطع مراحل حياته الأولى"^٧.

ويمكن تحديد ملاحم هذا العصر في الخطوط الثلاثة التالية:

١ - قلة المدوّنات الحديثية واضطرابها في الجمع والتبويب.

٢ - عدم تبلور المسائل الخلافية بين المذاهب الفقهية الإسلامية بصورة واضحة.

٧ - الطباطبائي . علي (ت: ١٢٣١ هـ): رياض المسائل، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط. الأولى ١٤١٢ هـ ج ١ المقدمة ص ١٤ . ١٥.

٣- عدم اتخاذ مقاييس للاجتهاد والفتيا فيما لا نصّ في مورده، ومعالجة الأحاديث الفقهيّة المتعارضة.

٢- مدرسة الكوفة

في أخريات حياة الإمام الصادق عليه السلام، انتقلت مدرسة الفقه الشيعي من المدينة إلى الكوفة. وبذلك بدأت حياة فقهية جديدة في الكوفة، حيث كانت آنذاك مركزاً صناعياً، وفكرياً كبيراً، تقصده البعثات العلميّة والتجاريّة، فذكر البلاذري أنّ أربعة آلاف من رعايا الفرس وفدوا إلى الكوفة^٨، وقد أثر وفود العناصر المختلفة إلى الكوفة طلباً للعلم، أو التجارة في التلاحق العقلي والذهني في هذه المدرسة. وقد هاجر إليها فوق ذلك وفود من الصحابة والتابعين، والفقهاء وأعيان المسلمين، من مختلف الأمصار، وبذلك كانت الكوفة، حين انتقل إليها الإمام الصادق عليه السلام وانتقلت إليها مدرسة الفقه الشيعي، من أكبر العواصم الإسلاميّة.

"وقد عدّ البرقي في تاريخ الكوفة ١٤٨ صحابياً من الذين هاجروا إلى الكوفة واستقروا فيها، ما عدا التابعين والفقهاء الذين انتقلوا إلى هذه المدينة، والذين كان يبلغ عددهم الآلاف، وما عدا الأسر العلمية التي كانت تسكن هذا القطر. وقد أورد ابن سعد في الطبقات ترجمة لـ (٨٥٠) تابعياً ممن سكن الكوفة"^٩. في مثل هذا الوقت انتقل الإمام الصادق عليه السلام إلى الكوفة أيام أبي العباس السفاح، واستمرّ بقاؤه عليه السلام فيها مدّة سنتين.

٨- راجع تاريخ الكوفة ص ٢٨٢ - ٣٩٥ نقلاً عن الطباطبائي. علي(ت: ١٢٣١ هـ): رياض المسائل، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط. الأولى ١٤١٢ هـ ج ١ المقدمة ص ٣١.

٩- نقلاً عن: الشهيد الثاني زين الدين بن علي(ت: ٩٦٥ هـ): شرح اللمعة، منشورات مكتبة الداوري، قم - إيران، ط. ١٤١٠ هـ ج ١ المقدمة ص ٣٢.

وقد اشتغل الإمام الصادق عليه السلام هذه الفترة بالخصوص في نشر المذهب الشيعي، لعدم وجود معارضة سياسية قوية، حيث سقطت في هذه الفترة الحكومة الأموية، وظهرت الحكومة العباسية، واغتنم الإمام الصادق عليه السلام فرصة الصراع على الحكم للدعوة إلى المذهب، ونشر أصول مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فازدلفت إليه الشيعة من كل فج زرافاتٍ ووحداً تستقي منه العلم، وترتوي من منهله العذب، وتروي عنه الأحاديث في مختلف العلوم. قال الحسن بن علي بن زياد الوشاء لابن عيسى القمي: "إني أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام" ١٠.

فازدهرت مدرسة الكوفة على يد الإمام الصادق عليه السلام وتلاميذه، فكانت الكوفة هي منطلق الحركة العقلية في العصر الثاني من عصور تأريخ الفقه الشيعي، ومبعث هذه الحركة، ومركز الإشعاع، وظلت تعدّ من أهم مراكز الفقه الشيعي، تقصدها البعثات الفقهية الشيعية. ويتعاقب فيها فقهاء الشيعة، مركز الصدارة في التدريس، والفتيا، والبحث الفقهي.

أبرز أصحاب الإمام الصادق عليه السلام

وكان من بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام من فقهاء الكوفة:

١- أبان بن تغلب بن رباح الكوفي الذي روى عنه عليه السلام (٣٠٠٠٠) حديثاً.

٢- محمد بن مسلم الكوفي. روى عن الباقرين عليهما السلام (٤٠٠٠٠) حديثاً. وقد صنّف الحافظ أبو العباس بن عقدة الهمداني الكوفي المتوفى سنة ٣٣٣ هـ كتاباً في أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام فذكر ترجمة (٤٠٠٠) رجلاً.

١٠- الميرزا النوري (ت: ١٣٢٠ هـ): خاتمة مستدرک الوسائل، منشورات وتحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران ط. الأولى ١٤١٥ هـ ج ٢ ص ٢٧.

كلّ ذلك بالإضافة إلى البيوتات العلميّة الكوفيّة التي عرفت بانتسابها إلى الإمام الصادق عليه السلام، واشتهرت بالفقه والحديث كبيت آل أعين، وبيت آل حيّان التغلبيّ، وبيت بني عطية، وبيت بني دراج، وغيرهم من البيوتات العلميّة الكوفية الشيعيّة، التي اشتهرت بالفقه والحديث.

خوف العباسيين

أدّى التجمّع والالتقاء بالإمام الصادق عليه السلام في الكوفة، والاحتفاء به إلى أن يأخذ الجهاز العباسيّ الحاكم حذره منه، فخاف المنصور الدوانيقيّ أن يفتن الناس بالإمام عليه السلام لما رأى من إقبال الفقهاء والناس عامّة عليه، ممّا حداه على أن يطلبه إلى قريه في بغداد.

ورغم العقبات الكبرى التي اصطدم بها أئمة الشيعة من أهل البيت عليهم السلام، وفقهاء الشيعة ورواة الحديث، من ضغط الجهاز الحاكم والمعارضات، والتهم والافتراءات، والتهريج الذي كان يقوم به الجهاز، تقدّمت الدراسة الفقهيّة الشيعيّة، وتدوين الحديث شوطاً كبيراً في هذه الفترة، وتركت لنا هذا التراث التشريعي الضخم الذي تمتلئ به المكتبات، وتحتفل به المجموعات الضخمة.

ملاحم المدرسة

١- ظهرت ظاهرة التدوين من أيّام الإمام الباقر عليه السلام ونمت أيّام الإمام الصادق عليه السلام، حيث أخذ الإمام الصادق عليه السلام - لما رأى من ضياع الأحاديث والسنن - يحثّ الرواة والعلماء على تدوين السنّة وكتابتها.

عن أبي بصير قال: "دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يمنعكم من الكتاب؟! إنكم لن تحفظوا حتّى تكتبوا، إنّه خرج من عندي رهطٌ من أهل

البصرة يسألون عن أشياء فكتبوها"١١.

٢- توسّعت حاجات المسلمين في هذا الوقت، وازدحم الناس على أبواب الفقهاء يطلبون منهم الرأي فيما استجدّ عليهم، ولم يكن ما بيد فقهاء السنّة ومحدّثيها من الحديث ما يكفي لسدّ هذه الحاجة، كما ولم يجدوا في الكتاب الكريم جواباً عنها، ولم يكن الجهاز القائم بالحكم يسمح لهم بمراجعة أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين اعتبرهم صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم عدلاً للكتاب في حديث الثقلين المعروف، فاضطروا إلى اتخاذ القياس والاستحسان، والأخذ بالظنّ والرأي.

٣- حدوث الاختلاف في نقل الروايات، فقد شاع نقل الحديث عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في هذه الفترة، وكثر الدسّ وظهر الاختلاف في متون الروايات، فكان يبلغ البعض من الشيعة حديثان مختلفان في مسألة واحدة، فكان الرواة يطلبون من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن يدلّوهم على مقياسٍ لاختيار الحديث الصحيح. فوردت عنهم عليهم السلام الأحاديث المعالجة للأخبار المتعارضة والتي عُرفت بالأخبار العلاجيّة في الأصول، قال زرارة: "سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك يأتي عنكم الخبران والحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ؟ فقال عليه السلام: يا زرارة خذ بما اشتهر بين أصحابك، ودع الشاذّ النادر. فقلت: يا سيدي إنهما معاً مشهوران مأثوران عنكم. فقال: خذ بما يقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك. فقلت: إنهما معاً عدلان مرضيان موثقان. فقال: أنظر ما وافق منهما العامة فاتركه، وخذ بما خالف، فإنّ الحقّ فيما خالفهم. قلت: ربما كانوا موافقين لهم، أو مخالفين فكيف أصنع؟ قال: إذاً

١١- الميرزا النوري (ت: ١٣٢٠ هـ): مستدرک الوسائل، منشورات وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران ط. الثانية ١٤٩٨ هـ، باب: وجوب العمل بأحاديث النبي والأئمّة عليهم السلام الحديث ٢٨ ج ١٧ ص ٢٩٣.

فخذ بما فيه الحائطة لدينك، واترك الآخر. قلت: إنهما معاً موافقان للاحتياط، أو مخالفان له فكيف أصنع؟ فقال: إذا فتخّر أحدهما فتأخذ به، ودع الآخر" ١٢.

وظهور الأخبار العلاجية الكثيرة في هذا الفترة دليل على توسّع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الفقه، وكثرة النقل، وشياع الحديث عنهم، وانتشار فقه أهل البيت عليهم السلام في الأقطار، كالعراق وخراسان والريّ والحجاز واليمن. وهذه هي الظروف الطبيعية لظهور الدسّ والاختلاق والتزييف في الحديث.

٤ - اتسعت شقّة الخلاف بين المذاهب الفقهية الإسلامية في كثير من المسائل الخلافية، بهدف تعكير الجوّ الفكري بين المسلمين، فبتاح للجهاز الحاكم أن يصيد في الماء العكر. وكان موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام حازماً وحكيماً، إذغضّوا الطرف كثيراً عن الخلاف في المسألة الفقهية، مجاراةً لفقه العامة الرائج، وإذا خلوا بأصحابهم ذكروا لهم الوجه الحقّ، وأمروهم بالكتمان والسرّ ما وسعهم ذلك، وحتى يقضي الله بما هو قاضٍ، وينقذ الأئمة من هؤلاء الغاصبين، وهذه هي التقية في الفقه الإسلامي.

٥ - تعيين موازين خاصّة للاجتهد والاستنباط من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد كان الرواة ينتقلون إلى مناطق بعيدة، وتمسّ بهم الحاجة إلى معرفة حكم من الأحكام الشرعية، ولا يجدون وسيلةً لسؤال الإمام عليه السلام، كما لا يجدون نصّاً في المورد، فوضع لهم أئمة أهل البيت عليهم السلام قواعد خاصّة للاستنباط والاجتهاد: كالاستصحاب والبراءة، والاحتياط، والتخيير، وغيرها من القواعد الأصولية والفقهية، كقاعدة الطهارة، واليد، والإباحة،

١٢ - الميرزا النوري (ت: ١٣٢٠ هـ): مستدرك الوسائل، منشورات وتحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران ط. الثانية ١٤٩٨ هـ، باب: وجوب الجمع بين الأحاديث المختلفة، ج ١٧ الحديث ٢ ص ٣٠٣.

والحليّة، وغيرها ممّا يعين الفقيه على الاجتهاد والاستنباط.

وإذا صحَّ أنّ المدرسة انتقلت من الكوفة إلى المدينة، أو إلى بغداد أو إلى طوس في هذا الفترة فقد كان لفترة قصيرة، وبصورة غير كاملة، وبقيت الكوفة محتفظةً بمكانتها حيناً طويلاً من هذا العصر.

خلاصة الدرس

لقد مرّ على الفقه في مدرسة أهل البيت عليهم السلام مراحل مختلفة، من الصعب تحديدها تحديداً دقيقاً، ولكن يمكن حصرها على وجه التقريب في بعض المدارس الكبرى بحسب العصور.

١ - مدرسة المدينة المنورة

وعصرها هو عصر الصحابة والتابعين لهم. فقد ظهر الفقه من حين ظهور المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة، واستمرت الحركة العلميّة والفقهية إلى حياة الإمام الصادق عليه السلام، فكانت المدينة المنورة هي المنطلق الأوّل للرسالة الإسلاميّة، والمدرسة الأولى للفقه الإسلامي، وكانت الوطن الأوّل لفقهاء الشيعة، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

لكن ملامح المدرسة الفقهية في المدينة المنورة كانت بدائية إلى حدّ ما، ولم تبلور فيها المسائل الخلاقية في الفقه بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الخلفاء.

٢ - مدرسة الكوفة

في أخريات حياة الإمام الصادق عليه السلام، انتقلت مدرسة الفقه الشيعي من المدينة إلى الكوفة، وبذلك بدأت حياة فقهية جديدة في الكوفة اشتغل فيها الإمام في نشر المذهب الشيعي. وقد أدّى التجمّع والالتقاء بالإمام في الكوفة

إلى أن يأخذ الجهاز العباسي الحاكم حذره منه، فخاف المنصور الدوانيقي أن يفتن الناس بالإمام عليه السلام فطلبه إلى قريه في بغداد.

ملاحم المدرسة

- ١ - ظهرت ظاهرة التدوين من أيام الإمام الباقر عليه السلام ونمت أيام الإمام الصادق عليه السلام.
- ٢ - توسّعت حاجات المسلمين في هذا الوقت، وازدحم الناس على أبواب الفقهاء يطلبون منهم الرأي فيما استجدّ عليهم.
- ٣ - حدوث الاختلاف في نقل الروايات، فقد شاع نقل الحديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذه الفترة، وكثر الدسّ وظهر الاختلاف في متون الروايات.
- ٤ - اتسعت شقّة الخلاف بين المذاهب الفقهيّة الإسلاميّة في كثيرٍ من المسائل الخلافية، بهدف تعكير الجوّ الفكري بين المسلمين، فبتاح للجهاز الحاكم أن يصيد في الماء العكر.
- ٥ - تعيين موازين خاصّة للاجتهد والاستنباط من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام.

أسئلة الدرس

- ١ - كيف يمكن تقسيم الفقه إلى مدارس بحسب العصور؟
- ٢ - ما هي ملاحم مدرسة الكوفة؟
- ٣ - ما هي الأسباب التي ساعدت الإمام الصادق عليه السلام في نشر أصول المذهب؟

المدارس الفقهيّة الشيعيّة (٢) قمّ والريّ

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى مدرسة قمّ والريّ.
٢. أن يتبيّن ملامح هذه المدرسة.

نشأة مدرسة قم

يبتدئ هذا العصر من الغيبة الكبرى، والربع الأول من القرن الرابع إلى النصف الأول من القرن الخامس.

في هذه الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة والبحث إلى مدينتي قم والري^١، وظهر فيهما شيوخ كبار من أساتذة الفقه الشيعي، كان لهم الأثر الأكبر في تطويره. فقد كانت (قم) منذ أتيام الأئمة عليهم السلام من أمهات المدن الشيعية، وحصناً من حصون التشيع، وعشراً لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وموضع عناية خاصة من أهل البيت عليهم السلام.

وكانت (الري) - وهي قرية من (قم) - في هذا التاريخ بلدة عامرة بالمدارس والمكاتب، وحافلة بالعلماء والفقهاء والمحدثين.

أسباب الانتقال

من أبرز أسباب انتقال مدرسة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى إيران، هو الضغط الشديد الذي كان يلاقيه فقهاء الشيعة وعلمائهم من العباسيين، فقد كانوا يطاردون كل من يظهر باسم الشيعة بمختلف ألوان الأذى والتهمة، مما جعل فقهاء الشيعة وعلمائهم ينتقلون إلى قم والري، ووجدوا في هاتين البلدين

١ - الري: منطقة في جنوب طهران، دفن فيها الكثير من علماء التشيع، أبرزهم الشاه عبد العظيم الحسي والشيخ الصدوق.

ملجاً آمناً يطمئنون فيه لنشر فقه وحديث أهل البيت عليهم السلام، وكانتنا تحت حكومة سلاطين آل بويه، الذين عُرفوا في التاريخ بنزعتهم وولائهم للتشيع.

ازدهار المدرسة

ويظهر أنّ (قم) في عصر الغيبة، وعهد نيابة النواب الأربعة، كانت حافلة بعلماء الشيعة وفقهائها، ومركزاً فقهياً كبيراً من مراكز البحث الفقهيّ، يعتمد على فقهاء حتى أمثال الحسين بن روح. ويدلّل على ذلك رواية تاريخيّة ذكرها الشيخ في كتاب الغيبة وهي: "أنفذ الشيخ حسين بن روح (رضي الله تعالى عنه) كتاب التأديب إلى (قم)، وكتب إلى جماعة الفقهاء بما وقال لهم: انظروا ما في هذا الكتاب، وانظروا هل فيه شيء يخالفكم، فكتبوا إليه: إنّه كلّ صحيح، وما فيه شيء يخالف إلا قوله: (في) الصاع في الفطرة نصف صاعٍ من طعام، والطعام عندنا مثل الشعير من كلّ واحدٍ صاع"^٢.

ويكفي للدلالة على ضخامة مدرسة قم في هذا العصر ما ذكره العلامة المجلسيّ الأوّل محمد تقيّ رضوان الله عليه في شرحه لمن لا يحضره الفقيه بالفارسيّة ما تعريبه: "إنّ في زمان عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ كان في قم من المحدثين مائتا ألف رجل"^٣.

ووصف الحسن بن محمد بن الحسن القميّ المتوفّى سنة ٣٧٨ هـ الفترة التي نتحدث عنها قائلاً: "الباب السادس عشر: في ذكر بعض علماء قم، وعدد خواصّهم مائتان وستّة وستّون، وذكر مصنفاتهم ورواياتهم وبعض أخبارهم"^٤.

-
- ٢- الطوسيّ (ت: ٤٦٠ هـ): الغيبة، تحقيق: عباد الله الطهرانيّ، وعلي أحمد ناصح، منشورات مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قم - إيران، ط. الأولى ١٤١١ هـ، ص ٣٩٠.
- ٣- الصدوق (ت: ٣٨١ هـ): الغيبة، تحقيق وتقدم: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، النجف الأشرف - العراق، ط. ١٣٨٥ هـ مقدّمة محقّق الكتاب ص ٣.
- ٤- الميرزا النوريّ (ت: ١٣٢٠ هـ): حاشية مستدرك الوسائل، منشورات وتحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. الأولى ١٤١٥ هـ ج ٤ ص ٤٨٦.

وهذه الكلمات تدلّ على أنّ مدرسة قم كانت في هذه الفترة من أوسع المدارس الشيعيّة في الفقه والحديث وأضخمها، وكانت تضمّ مئات المدارس والمساجد والمكاتب، وندوات البحث والمناقشة، ومجالس الدرس والمذاكرة.

أبرز علماء هذه المدرسة ومصنّفاتهم

لقد حفلت مدرسة قم والريّ في القرن الرابع الهجريّ بشيوخ كبار في الفقه والحديث. ونشطت حركة التأليف والبحث الفقهيّ، وتدوين المجاميع الحديثيّة الموسّعة.

نذكر من علماء هذه المدرسة ومصنّفاتهم

١ - عليّ بن إبراهيم القميّ شيخ الكلينيّ في الحديث، يقول عنه النجاشي: "ثقة في الحديث ثبتّ معتمداً، صحيح المذهب، سمع فأكثر، وصنّف كتباً،... منها: قرب الإسناد، وكتاب الشرائع، وكتاب الحيز".^٥

٢ - الشيخ محمّد بن يعقوب الكلينيّ المتوفّي سنة ٣٢٩ هـ. كان معاصراً لعلي بن الحسين بن بابويه، والد الشيخ الصدوق، وتوفّي في سنة واحدة، وهي المعروفة عند الفقهاء تناثر النجوم بسنة (موت الفقهاء).

له كتاب الكافي في الأصول - والفروع. ويعدّ تأليفه أوّل محاولة من نوعها لجمع الحديث وتبويبه، وتنظيم أبواب الفقه والأصول.

يقول رضوان الله عليه في مطلع كتابه: "كتاب كافٍ يجمع من جميع فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلّم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين، والعمل بالآثار الصحيحة عن (الصادقين) عليهم السلام".^٦

٥ - النجاشي (ت: ٤٥٠ هـ): رجال النجاشي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، بقم المشرفة - إيران، ط. الخامسة ١٤١٦ هـ، الرقم ٦٨٠ ص ٢٦٠.

٦ - الكليني: (ت: ٣٢٩ هـ): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران - إيران، ط. الثالثة ١٣٦٣ هـ ش. ج ١ خطبة الكتاب ص ٨.

يقول عنه الشيخ المفيد: من أجل كتب الشيعة، وأكثرها فائدة^٧.

٣- أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه، كان من تلامذة الكليني والراوين عنه، وأستاذ الشيخ المفيد.

قال عنه النجاشي: "كان من ثقات أصحابنا وأجلّائهم في الحديث والفقه،... وكلّ ما يوصف به الناس من جميلٍ وفقهٍ وثقةٍ فهو فوقه، له كتبٌ حسانٌ (عدّ منها جملةٌ كبيرةٌ)"^٨.

٤- آل ابن بابويه: من بيوتات الفقه والحديث في (قم)، وموضع عناية خاصة من الحجّة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ونوابه، ومن فقهاء الشيعة ومحدثيهم، وكان أبرزهم الصدوق الأول علي بن بابويه القمي الذي كان من رؤساء المذهب وفقهائهم الكبار. يقول عنه العلامة في الخلاصة: "شيخ القميين ومتقدّمهم وفقههم وثقتهم"^٩. والابن وهو الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي أبو جعفر، قال عنه النجاشي: "نزّل الرّي، شيخنا وفقهنا ووجه الطائفة بخراسان... وله كتبٌ كثيرةٌ (عدّدها)"^{١٠}.

دوّن الشيخ الصدوق الابن مجموعته الحديثية الكبيرة من لا يحضره الفقيه وهو الموسوعة الحديثية الجامعة الثانية التي ألّفت في الفقه في هذه الفترة بمدرسة قم والرّي. وقد حاول الصدوق في موسوعته هذه أن يجمع أبعاد الفقه وينظّمه في كتابٍ، ويجمع ما صحّ لديه من أحاديث فيه، ويجعله في متناول

٧- المفيد (ت: ٤١٣ هـ): تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق: حسين دركاهي، منشورات دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ط. الثانية ١٤١٤ هـ ص ٧٠.

٨- النجاشي (ت: ٤٥٠ هـ): رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، بقم المشرفة . إيران، ط. الخامسة ١٤١٦ هـ، الرقم ٣١٨ ص ١٢٤.

٩- النجاشي (ت: ٤٥٠ هـ): رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، بقم المشرفة . إيران، ط. الخامسة ١٤١٦ هـ، الرقم ٦٤٨ ص ٢٦١.

١٠- النجاشي (ت: ٤٥٠ هـ): رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، بقم المشرفة . إيران، ط. الخامسة ١٤١٦ هـ، الرقم ١٠٤٩ ص ٣٨٩.

الفقيه، أو في متناول من لا يحضره الفقيه من العامة حينما تعرضه مسألة من المسائل، وأحصيت أحاديث الكتاب، فكانت خمسة آلاف وتسعمائة وثلاثة وستين حديثاً (٥٩٦٣)، وكان الكتاب فتحاً ثانياً في تدوين الحديث وجمعه بعد تأليف الكافي.

ملامح المدرسة

بلغ النشاط الفكري في التأليف والبحث الفقهي، وتدوين الأحاديث وجمعها وتنسيقها غاية في هذه الفترة، وترك لنا ثروة ضخمة من أهم ما أنتجته مدارس الفقه والحديث الشيعي، ونحن ذاكرون أهم مميزات هذه المرحلة:

١ - التوسعة في تدوين الحديث وجمعه: فقد كان تدوين الحديث قبل هذه الفترة - كما أشرنا إليه في الحديث عن العصر الثاني - لا يتجاوز التدوين الشخصي لما سمعه الراوي من أحاديث من الإمام مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مبعثرة حيناً، ومنظمة حيناً آخر. ولم يتفق لأحد من المحدثين والفقهاء في العصر الثاني أن يجمع ما صح في الأحكام من الأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام وينظم ذلك، كما لوحظ في (الكافي)، (ومن لا يحضره الفقيه).

وخطوة جمع الأحاديث هذه وتنظيمها تعدّ من مميزات هذه المدرسة. فقد كثرت حاجة الفقهاء إلى مراجعة الروايات والأحاديث حين الحاجة، وكانت الأحاديث منتشرة بصورة غير منظمة، من حيث التبويب والجمع، في آلاف الكتب والأصول والرسائل التي خلفها أصحاب الأئمة ومحدثو الشيعة. ولم يكن من اليسير بالطبع الإمام بما ورد من أحاديث في مسألة لكل أحد، فكانت محاولة الجمع والتبويب في هذه الفترة لسدّ هذه الحاجة.

٢ - ظهور الرسائل الفقهيّة: ففي هذه الفترة ظهر لونٌ جديدٌ من الكتابة الفقهيّة، وهي الرسائل الجوابيّة. فقد كانت الشيعة تسأل الفقهاء من أطراف

العالم الإسلامي ما يعرضها من المسائل بشكل استفساري، فكان الفقهاء يجيبون على هذه الأسئلة، وقد يطول الجواب، ويستعرض المجيب الأحاديث الواردة في الباب، فيكون من ذلك رسالةً جوابيةً صغيرةً في مسألةٍ فقهيةٍ.

٣- تطوّر البحث الفقهيّ: وقد كان لشيوع هذا النحو من الرسائل الفقهية دورٌ بارزٌ في تطوير البحث الفقهيّ في هذه الفترة. فكان الفقيه يدرس المسألة، وقد يلقّيها على طلابه في مجلس الدرس، ويستعرض ما ورد فيها من أحاديث، فكانت نقطة انطلاقٍ للرأي والنظر.

لكن مع ذلك كان البحث الفقهيّ يقضي مراحل نموّه الأولى في هذه الفترة، لأنّ الرسائل الفقهية لم تتجاوز عرض الأحاديث من غير تعرّض للمناقشة والاحتجاج ونقد الآراء وبحثها، وتفرّع فروع جديدةٍ عليها. ولم يتجاوز البحث الفقهيّ في الغالب حدود الفروع الفقهية المذكورة في حديث أهل البيت عليهم السلام، ولم يفرغ الفقهاء بصورةٍ كاملةٍ لتفريع فروعٍ جديدةٍ للمناقشة والرأي.

٤- تطوّر عبارة الفتوى الشرعية نسبياً: حيث كانت الفتاوى في الغالب عبارةً عن نصوص الأحاديث مع إسقاط الإسناد وبعض الألفاظ في بعض الحالات. فلاحظ رسالة علي بن بابويه القميّ إلى ولده الصدوق يذكر فيها فتاواه. وما كتبه الصدوق كالمقنع والهداية. وما كتبه جعفر بن محمد بن قولويه وغيرهم من هذه الطبقة.

خلاصة الدرس

مدرسة قم والريّ:

يبتدئ هذا العصر من الغيبة الكبرى، والربع الأول من القرن الرابع إلى النصف الأول من القرن الخامس.

في هذه الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة والبحث إلى مدينتيّ قم والريّ، وظهر فيها شيوخ كبار من أساتذة الفقه الشيعيّ، كان لهم الأثر الأكبر في تطويره.

أهمّ ميّزات هذه المرحلة:

١ - التوسعة في تدوين الحديث وجمعه.

٢ - ظهور الرسائل الفقهية.

٣ - تطوّر البحث الفقهيّ.

٤ - تطوّر عبارة الفتوى الشرعية نسبياً.

أسئلة الدرس

١ - لماذا انتقلت مدرسة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى قم؟

٢ - ما هي أهمّ ميّزات مدرسة قم والريّ؟

٣ - عدد أبرز فقهاء هذه المدرسة؟

المدارس الفقهية الشيعية (٣) بغداد والنجف

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى مدرستي بغداد والنجف.
٢. أن يعدّد ملامح المدرسة.

أسباب الانتقال إلى بغداد

انتقلت المدرسة من قم والريّ إلى بغداد في القرن الخامس الهجريّ، وذلك لأسبابٍ نذكر منها:

١ - ضعف جهاز الحكم العباسيّ: حيث ضعفت سيطرتهم في هذه الفترة، ولم يجد الجهاز الحاكم القوة الكافية لملاحقة الشيعة والضغط عليهم، كما كان في زمن المنصور والرشيد والمتوكل والمعتصم، فوجد فقهاء الشيعة سعةً للظهور ونشر الفقه الشيعيّ، وممارسة البحث الفقهيّ علانيةً.

٢ - ظهور شخصيّاتٍ فقهيةٍ كبيرةٍ: كالشيخ المفيد والسيد المرتضى، حيث كانوا يستغلّون مكانة بيوتهم الاجتماعية، ومكاناتهم السياسية في نشر الفقه الشيعيّ وتطوير دراسته.

٣ - توسّع المدرسة: ممّا أدّى إلى سيطرة البويهيين الشيعة في ذلك الوقت، وكانت البيئة الجديدة صالحةً لتقبّل هذه المدرسة، وتطويرها وخدمتها.

فبغداد تعتبر مركزاً ثقافياً كبيراً من مراكز الحركة العقلية في العالم الإسلاميّ، يقطنها الآلاف من الفقهاء والمحدّثين، وينتشر في أرجائها آلاف المدارس والمكاتب والمساجد التي كان يحتشد فيها جماهير الطلاب والمدرّسين والعلماء كلّ يوم للدرس والمطالعة، والبحث والمناقشة، فكان لانتقال المدرسة إلى هذا الجوّ الفكريّ على يد علماء كبار أمثال المفيد المرتضى والطوسيّ

الأثر الكبير في الحركة الفكرية القائمة في حينه. فبعد أن تكاملت مدرسة الفقه الشيعي في قم والري وتأصلت، وظهرت ملامح الاستقلال عليها وتبلورت أصولها وقواعدها في بغداد، ورغم كثرة مدارس البحث الفقهي في بغداد في ذلك الحين، كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيها أوسعها وأضخمها وأعمقها جذوراً وأصولاً وأكثرها تأصلاً واستعداداً، وأقومها في الاستدلال والاحتجاج، وكل ذلك كان يبعث طلاب الفقه على الالتفاف حول هذه المدرسة أكثر من غيرها.

أبرز علماء الشيعة في مدرسة بغداد والنجف

١- المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالمفيد البغدادي (٣٣٦-٤١٣ هـ)، ولد في عكبرا، وانتقل منها في أيام صباه إلى بغداد بصحبة والده، ونشأ فيها، وتفرغ لطلب العلم، فعرف وهو صغير بالفضل والنبوغ. استقل بالتدريس في بغداد وهو بعد لم يتجاوز سن الشباب، وتفرغ للفقه والكلام، وكان يحضر مجلس درسه آلاف الطلاب من الشيعة والسنة، وبرز من تلاميذه رجال كبار أمثال السيد المرتضى، والشيخ الطوسي، ساهموا في توسعة المدرسة وتطويرها.

يقول العلامة الحلي: "من أجل مشائخ الشيعة ورؤسهم وأستاذهم، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، أوثق أهل زمانه وأعلمهم، انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه، وكان حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له قريب من مائتي مصنف".

٢- المرتضى علم الهدى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) وأخوه الرضي: وهما من أبرز تلامذة الشيخ المفيد الذي عني بهما عناية فائقة. تفرغ المرتضى إلى الفقه بجانب تخصصه في الأدب، وإلى جانب مؤهلاته الفكرية، وجهده الكبير في

١- الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ): وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. الثانية ١٤١٤ هـ، ج ٣٠ الخاتمة: الفائدة الثانية عشر، ص ٤٨٥.

طلب العلم وعناية أستاذه به، ومكانة أسرته الاجتماعية والثقافية، لم يتوقف عن البحث والتحقيق حتى خلف أستاذه المفيد بعد موته، وتولى بنفسه مهمة التدريس، وزعامة الطائفة، واحتشد حوله الطلاب.

طور كثيراً من مناهج الفقه، وكتب الأصول ودرسها. وربما يصحّ اعتباره من أسبق من ارتاد هذا الحقل من حقول الفكر الإسلامي. وقد عدّ له السيّد الأمين ١ في الأعيان ما يقرب من تسعين مؤلفاً من مؤلفاته ممّا عثر على اسمه^٢.

٣- الشيخ الطوسي: رئيس الطائفة وهو محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ): ولد في طوس في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ بعد أربع سنوات من وفاة الشيخ الصدوق، وهاجر إلى العراق فهبط بغداد سنة ٤٠٨ هـ وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكانت زعامة المذهب الجعفري يومذاك لشيخ الأمة المفيد، فلزمه وعكف على الاستفادة منه، حتى اختار الله لأستاذه دار البقاء، فانتقلت زعامة الدين، ورئاسة المذهب إلى أبرز تلاميذه السيّد المرتضى، فأنحاز شيخ الطائفة إليه، ولزم الحضور تحت منبره، وعني به المرتضى، وبالغ في توجيهه وتلقينه، واهتمّ به أكثر من سائر تلاميذه، وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة حتى توفي السيد المرتضى سنة ٤٣٦ هـ، فاستقلّ الشيخ الطوسي بالإمامة، وأصبح علماً للشيعة وناشراً للشرعية، وقد تقاطر عليه العلماء والفضلاء للتلمذة عليه، والحضور تحت منبره، وقصدوه من كل بلد ومكان وبلغت عدة تلاميذه ثلاثمائة من مجتهدي الشيعة.

عايش تجربة تطوير البحث الفقهي والأصولي في ظلّ أستاذه الكبيرين (المفيد والمرتضى)، وكانت فترة مخاض، تمخّضت عنها المدرسة الفقهية الجديدة، وعانى ما تتطلب هذه الفترة من جهدٍ وتعبٍ. واستمرّ بعد

٢- راجع: الشريف المرتضى: الانتصار، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، منشورات: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط. ١٤١٥ هـ، مقدّمة التحقيق ص ٧.

أستأذيه في تطوير المدرسة فكانت حياة الشيخ الطوسي في مرحلتي التلمذة والتدريس سلسلةً طويلةً من المحاولات التجديدية، لتطوير الفقه وصياغته من جديد، وتحديد أصول الصناعة والصياغة والاستدلال فيه.

انتقل الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف سنة ٤٤٨ هـ حينما هجموا على داره واحرقوا مكتبته ومنبره. وظلّ ماسكاً بزمام زعامة الشيعة وهو في النجف، والتحق به عددٌ من الطلاب والعلماء، والتفوا حوله لتتشكّل من ذلك مدرسة جديدة قي النجف الأشرف، ما زالت قائمة إلى يومنا الحاضر، وظلّ يمارس التدريس والتأليف وتطوير مناهج الدراسة الفقهية اثنتي عشرة سنةً حتّى آثره الله لدار لقائه في المحرم سنة ٤٦٠ هـ.

ذكر العلامة الجليل الشيخ آغا بزرك اسماء ٤٧ مؤلفاً للشيخ ممّا وصل إليه من أسماء مصنّفاته.

ملاحم المدرسة

لقد كان البحث الفقهيّ في مدارس المدينة والكوفة وقم، لا يخرج عن حدود استعراض السنّة، ونقل الحديث، ولم يبلغ رغم تطور المدرسة في عهودها الثلاثة مرحلة الرأي والاجتهاد. ويلمس الباحث لأوّل مرّة آثار الصناعة والصياغة الفنيّة، والاجتهاد والرأي، في هاتين المدرستين، لا سيما في كتابات السيّد المرتضى الأصوليّة، وكتب الشيخ الطوسي الفقهية والأصوليّة، ولعلّ من أبرز ملاحم هاتين المدرستين:

١- خروج الفقه عن الاقتصار على استعراض نصوص الكتاب: وما صحّ من السنّة إلى معالجة النصوص، واستخدام الأصول والقواعد: فقد انقلبت في هذه المدرسة عمليّة الاستنباط إلى صناعةٍ علميّة^٣ لها أصولها وقواعدها.

٣- من الطبيعيّ أن الصناعة الفقهية في هذه الفترة كانت تطوي مراحلها البدائية، ولكنها مع ذلك كانت بدايةً لعهدٍ جديدٍ، وخاتمةً لعهدٍ مضى.

٢- فصل البحث الأصولي عن البحث الفقهي، وإفراده بدراسات ومطالعات خاصة: فقد قام السيد المرتضى لأول مرة بمحاولة جديدة تهدف لدراسة المسائل الأصولية منفصلة عن الفقه بصورة موضوعية، ونقح المسائل الأصولية في كتب ودراسات مستقلة، إلا أنها كانت مع ذلك بدائية ولم تتجاوز في غالب الأحوال مباحث الألفاظ، من الأوامر والنواهي ودلالات هيئات الألفاظ وموادها.

٣- تفريع المسائل الفقهية واستحداث فروع جديدة: لم تتعرض لها نصوص الروايات. فبعد أن كان البحث الفقهي لا يتجاوز حدود بيان الحكم الشرعي باستعراض الروايات الواردة في الباب، أخذت تُطرح وتُعالج فروع جديدة لم تتعرض لها الروايات، وربما يصح القول: إن الشيخ الطوسي كان أول من قام بهذه التجربة في كتابه المبسوط^٤.

٤- ظهور الفقه المقارن أو الفقه الخلافي: وذلك بعد أن تركزت المدرسة الشيعية في الفقه في بغداد، وفرضت وجودها العلمي على سائر المدارس العلمية، مما أثار حفيظة أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى، وأعلنوا المعارضة بوجه المدرسة، وأثاروا المسائل الخلافية بصورة حادة، مما أدى إلى اصطدام فقهاء الشيعة بفقهاء المذاهب الأخرى، في الندوات والمجالس العامة حول المسائل الفقهية الخلافية. ومهما كانت الدوافع لإثارة هذه المسائل، فقدت أدت إلى خصوبة البحث الفقهي، واتساع رقعة الخلاف بين المذاهب الإسلامية، وتفرغ بالتالي فقهاء الشيعة لبحث المسائل الخلافية بصورة موضوعية.

ظهر هذا النوع من البحث الفقهي لأول مرة على يد المفيد المرتضى والطوسي، وتوسع الشيخ الطوسي بشكل خاص في دراسة هذا الجانب من

٤- راجع مقدمة الشيخ على كتابه المبسوط.

البحث الفقهي في كتابه الكبير الخلاف، الذي تناول فيه المسائل الفقهية الشيعية والسنية، في مختلف أبواب الفقه، وتعرض لأدلة كلا الطرفين، وناقش آراء المذاهب الأخرى في كثير من المسائل.^٥

٥- ظهور الإجماعات^٦ والاستدلال بها: فإن توسع البحث الفقهي وتكامله دفع الفقهاء إلى استكشاف أدلة جديدة للاستنباط، في الأمور التي لم يجدوا في مورها نصاً، أو لم يقتنعوا بسلامة النص من حيث السند، أو الدلالة، فوجدوا في إجماع فقهاء المذاهب عامة، أو فقهاء الطائفة في عصر واحد دليلاً على وجود نص شرعي يجوز الاعتماد عليه، إذ من غير الممكن أن يجمع فقهاء المذاهب على حكم دون وجود نص عليه أو دليل على سلامة الحكم. وقد ظهر الاحتجاج بالإجماع بصورة واضحة في كلمات السيد المرتضى والشيخ الطوسي بصورة خاصة. وهناك تبريرات أخرى لوجود هذه الإجماعات نوكل دراستها لمراحل أعلى إن شاء الله لمن أراد التوسع.

٥- رغم قدم الكتاب فإنه قيم لدرجة أنه لا يستغني عنه باحث فقيه.

٦- تقدم الكلام عن معنى الإجماع والخلاف فيه وذلك في مدخل إلى علم الأصول.

خلاصة الدرس

مدرسة بغداد والنجف: انتقلت المدرسة الفقهية من قم إلى بغداد، بسبب ضعف جهاز الحكم العباسي وظهور شخصيات فقهية كبيرة هناك، وتقبل البيئة المحيطة لهذه المدرسة، ثم بعد ذلك إنتقلت إلى النجف الأشرف من خلال الشيخ الطوسي رضوان الله عليه.

ملامح مدرسة بغداد والنجف

- ١ - معالجة النصوص، واستخدام الأصول والقواعد.
- ٢ - انفصال البحث الأصولي عن البحث الفقهي.
- ٣ - تفريع المسائل الفقهية واستحداث فروع.
- ٤ - ظهور الفقه المقارن أو الفقه الخلافي.
- ٥ - ظهور الإجماعات والاستدلال بها.

أسئلة الدرس

- ١ - ما هو السبب في ظهور واشتداد مدرسة بغداد ؟
- ٢ - ما هي أهم ملامح مدرسة بغداد والنجف؟
- ٣ - عدّد أبرز فقهاء هذه المدرسة؟

المدارس الفقهيّة الشيعيّة (٤) الحلّة

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى مدرسة الحلّة.
٢. أن يتبيّن أهم ملامح هذه المدرسة.

نشأة المدرسة

برزت مدرسة الحلة الفقهيّة بعد احتلال بغداد على يد هولاكو التتار، عندها أوفد أهل الحلة وفداً إلى قيادة الجيش المغوليّ يلتمسون الأمان لبلدهم، فاستجاب لهم هولاكو، وآمنهم على بلدهم بعد أن اختبر صدقهم. وبذلك ظلّت الحلة مأمونةً من النكبة التي حلّت بسائر البلاد في محنة الاحتلال المغولي، وأخذت تستقطب الشاردين من بغداد من الطلاب والأساتذة والفقهاء، فاجتمع فيها عددٌ كبيرٌ من الطلاب والعلماء، وانتقل معهم النشاط العلميّ، واحتفلت بما كانت تحتفل به بغداد من وجوه النشاط الفكريّ، من ندوات البحث والجدل، وحلقات الدراسة والمكتبات والمدارس، وغيرها، وظهر في هذه المدرسة فقهاء كبارٌ كان لهم الأثر الكبير في تطوير مناهج الفقه والأصول الإماميّة، وتحديد صياغة عمليّة الاجتهاد، وتنظيم أبواب الفقه، نذكر منهم:

أبرز علماء مدرسة الحلة

١ - المحقّق الحلّي: نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد الحلّي (ت: ٦٧٨هـ)، رائد مدرسة الحلة الفقهيّة، ومن كبار فقهاء الشيعة قال عنه تلميذه ابن داود: "الإمام العلامة واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه، وأقومهم بالحجة وأسرعهم استحضاراً... كان مجلسه يزدهم بالعلماء والفضلاء ممن كانوا يقصدونه للاستفادة من حديثه، والاستزادة من علمه".

١- الحلّي . ابن داود: رجال ابن داود، تحقيق وتقديم: محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات: مطبعة الحيدريّة . النجف الأشرف، ط. ١٩٧٢ م. الرقم ٣٠٤ ص ٦٢.

قدّر للمحقق الحلبي أن يجدد كثيراً في مناهج البحث الفقهي والأصولي، وأن يكون رائد هذه المدرسة. ويكفي في فضله على المدرسة الفقهية أنه ربّى تلميذاً بمستوى العلامة الحلبي، وخلف كتباً قيّمة في الفقه لا يزال الفقهاء يتناولونها، ويتعاطونها باعتزاز ككتاب: شرايع الإسلام، وكتاب المختصر النافع، وكتاب المعبر في شرح المختصر، وكتاب نكت النهاية، وكتاب المعارج في أصول الفقه وغيرها.

٢- العلامة الحلبي: جمال الدين حسن بن يوسف بن علي بن المطهر، (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ). تتلمذ في الفقه على خاله المحقق الحلبي، وفي الفلسفة والرياضيات على المحقق الطوسي، فنشأ كما أراد أستاذه، وظهر على أترابه وزملائه وعرف بالنبوغ وهو بعد لم يتجاوز سن المراهقة، وانتقلت الزعامة في التدريس والفتيا إليه بعد وفاة خاله المحقق.

قدّر للعلامة الحلبي بفضل ما أوتي من نبوغ، وبفضل أستاذه الكبيرين المحقق والشيخ، وجهوده الخاصة، أن يساهم مساهمة فعّالة في تطوير مناهج الفقه والأصول، وأن يوسع دراسة الفقه. وتعدّ موسوعته الفقهية التذكرة أول موسوعة فقهية من نوعها في تاريخ تطوير الفقه الشيعي، من حيث السعة والمقارنة والشمول، وتطور مناهج البحث.

وبلغت مدرسة الحلة كمالها في حياة العلامة، وذلك بفضل جهوده القيّمة، كما قدّر له لأول مرة أن يتفرغ لدراسة المسائل الخلافية بين فقهاء الشيعة بصورة مستقلة في كتابه الكبير المختلف.

٣- فخر المحققين: أبو طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر، من وجوه الطائفة وأعيانها، تتلمذ على أبيه العلامة الحلبي، ونشأ برعايته وعنايته، وقرأ عليه مختلف العلوم النقلية والعقلية، وبرز في ذلك كله. أكمل بعض تأليف والده العلامة ككتاب الألفين وغيره، وشرح بعضها الآخر ككتاب القواعد. قال

فيه الشيخ الحرّ العامليّ : "كان فاضلاً محققاً فقيهاً ثقةً جليلاً"^٢، قام بتربية تلامذة كبار في الفقه كان منهم الشهيد الأول رضوان الله عليه.

٤- الشهيد الأول: أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين مكّي بن شمس الدين محمد الدمشقيّ الجزينيّ (٧٣٤-٧٨٦ هـ).

ولد في جزين من بلدان جبل عامل، وهاجر إلى الحلة طلباً للعلم، تتلمذ على فخر المحققين بالحلة ولازمه، وتلمذ على آخرين من تلاميذ العلامة الحلّي في الفقه والفلسفة. زار مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبغداد، ومصر، ودمشق، وبيت المقدس، ومقام الخليل إبراهيم، واجتمع فيها بمشايع العاظمة، وأتاحت له هذه الأسفار نوعاً من التلاقح الفكريّ بين مناهج البحث الفقهيّ والأصوليّ عند الشيعة والسنة.

وقرأ كثيراً من كتب السنّة في الفقه والحديث، وروى عنهم حتّى قال في إجازته لابن الخازن: "إنّي أروي عن نحو أربعين شيخاً من علمائهم بمكة والمدينة ودار السلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام الخليل إبراهيم"^٣. وهذا النص يدل على أنّ الشهيد الأول جمع بين ثقافتيّ الشيعة والسنّة في الفقه والحديث، ولاقح بين المنهجين في حدود ما تسمح به طبيعة المنهجين.

خلف كتباً كثيرةً تمتاز بروعة البيان، ودقّة الملاحظة، وعمق الفكرة وسعة الأفق، منها: الذكرى، والدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة، وغاية المراد في شرح نكت الإرشاد، واللمعة الدمشقيّة، والألفية والنفلية، وغير ذلك.

قتل بالسيف بدمشق، ثمّ صلب، ثمّ رجم ثمّ أحرق بفتوى القاضي برهان

٢- الحرّ العامليّ (ت: ١١٠٤ هـ): أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسيني، منشورات: دار الكتاب الإسلامي، ط. ١٣٦٢ هـ ش. الرقم ٧٦٨ ج ٢ ص ٢٦١.

٣- الشهيد الثاني زين الدين بن عليّ (ت: ٩٦٥ هـ): شرح اللمعة، منشورات مكتبة الداوري، قم - إيران، ط. ١٤١٠ هـ، مقدّمة التحقيق ج ١ ص ٧٦.

الدين المالكي، وعباد بن جماعة الشافعي بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة الشام في محنة أليمة نعرض عن ذكرها. ويذكر من علماء هذه المدرسة: يحيى بن سعيد الحلبي وابن إدريس الحلبي وابن أبي الفوارس وابن طاووس وابن ورام.

ملامح المدرسة

كانت مدرسة الحلة استمراراً لمدرسة بغداد، ولم يقدّر للمدرسة، رغم ضخامة العمل الذي قامت بأعبائه في مجال تطوير مناهج الدراسة الفقهية، أن تهرّ مرة أخرى مناهج الاستنباط، كما فعل الشيخ الطوسي من قبل، لكن لا يعني ذلك أن ننكر ما حقته هذه المدرسة في مجال تطوير البحث الفقهي بعد مدرسة بغداد. ويمكن تلخيص أهم ملامح هذه المدرسة بما يلي:

١ - تنظيم أبواب الفقه: رغم الجهد الذي بذله الشيخ الطوسي في تبويب الفقه وإكثار الفروع، واستحدثه فروعاً جديدة، إلا أنّ الباحث يلحظ في كتب الشيخ وجميع المتقدمين عليه نوعاً من التشويش في التبويب، بينما في مدرسة الحلة لأول مرة نلتقي بكتاب الشرايع للمحقّق الحلبي رضوان الله عليه بتنظيم فريد لأبواب الفقه، استمرّ عليه فقهاء الشيعة إلى العصر الحاضر: قسّم المحقّق كتابه الشرايع إلى أقسام أربعة: العبادات، العقود، الإيقاعات، الأحكام^٤. وهذا تقسيم رائع يجمع مختلف أبواب الفقه.

٢ - ظهور الموسوعات الفقهية: حيث ألّف العلامة الحلبي تذكرة الفقهاء في الفقه المقارن، وهو عمل فقهي لم يؤلّف مثله في السعة والاستيعاب، وجمع آراء مختلف المذاهب الإسلامية، وناقش بموضوعية وهدوء لم يوجد مثله في الدراسات المقارنة الأخرى.

٤ - يتبنّى هذا التقسيم على القسمة الثنائية الدائرة بين السلب والإيجاب: فالحكم الشرعي إما أن يتقوّم بقصد القرينة أم لا، والأول العبادات، والثاني إما أن يحتاج إلى اللفظ من الجانبين الموجب والقابل أو من جانب واحد، أو لا يحتاج إلى اللفظ فالأول العقود، والثاني الإيقاعات، والثالث الأحكام، وبذلك تندرج جميع أبواب الفقه في أقسام أربعة.

٣- كثر الاختلاف بين فقهاء الإمامية أنفسهم: لابتعادهم عن عصر الإمام، واختلافهم في سلامة الروايات من حيث السند والدلالة، فتشعبت الآراء، ممّا دعا العلماء إلى أن يجمعوا المسائل الخلافية بين علماء الشيعة، واستعراض وجوه الاختلاف عندهم، كي يتاح للفقهاء التعرف إلى وجوه الاختلاف في المسألة، ومعرفة المسألة المتفق عليها بين علماء الإمامية.

لكن ظلت مدرسة الحلة بشكلٍ عامّ امتداداً لمدرسة بغداد، وتطويراً لمناهجها، وأساليبها.

٤- قدّر لمدرسة الحلة: نتيجة لممارسة هذا اللون الجديد من التفكير والاستنباط - أن تُمسح عن مدرسة بغداد مظاهر البدائية، وأن تسوّي من مسالكها وأن توسّع الطريق للسالكين وتمهّدها لهم.

خلاصة الدرس

مدرسة الحلة: بعد احتلال بغداد على يد هولاكو التتار، ظلّت الحلة مأمونةً، وأخذت تستقطب الشاردين من بغداد من الطلاب والأساتذة والفقهاء، وانتقل معهم النشاط العلمي.

ملاح المدرسة

- ١ - تنظيم أبواب الفقه بتنظيم فريد، استمرّ عليه فقهاء الشيعة إلى العصر الحاضر.
- ٢ - ظهور الموسوعات الفقهية.
- ٣ - كثرة الاختلاف بين فقهاء الإمامية أنفسهم، وظهور كتب تجمع المسائل الخلافية بين علماء الشيعة.

أسئلة الدرس

- ١ - ما هي أهمّ ملاح مدرسة الحلة ؟
- ٢ - تحدّث عن عالم من أبرز علمائها؟
- ٣ - عدّد أبرز فقهاء هذه المدرسة؟

المدارس الفقهيّة الشيعيّة (٥)

جبل عامل

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى مدرسة جبل عامل.
٢. أن يعدّد معالم هذه المدرسة.

عندما انتقل الفقه من بغداد إلى الحلة، بعد سقوط الدولة العباسية، أقبل طلبة جبل عامل إلى الحلة لتلقي العلم من فقهاءها. ومن هؤلاء الشيخ نجم الدين طمان بن أحمد العاملي، والشيخ صالح بن مشرف جدّ الشهيد الثاني، وجمال الدين يوسف بن حاتم العاملي، والشيخ محمد بن جمال الدين مكّي العامليّ الشهيد الأول، وغيرهم من علماء جبل عامل وفقهائه. وازدهرت بهم مدرسة جبل عامل وحفلت بالعلماء والفقهاء والمعاهد العلمية، وانتقل إليها تراث مدرسة الحلة، واجتمع فيها جمع غفير من علماء الشيعة حتّى أن الحرّ العاملي رضوان الله عليه يقول: "إنّ علماء الشيعة في جبل عامل يبلغون نحو الخمس من علماء الشيعة في جميع الأقطار مع أن بلادهم أقلّ من عشر عشر بلاد الشيعة"^١. وقد تأسّست في هذه المنطقة مجموعة من المعاهد والمدارس العلمية، استقطبت طلبة العلم، وخرّجت جمعاً كبيراً من الفقهاء والعلماء. ونشير إلى جملة من هذه المدارس.

أ- مدرسة جزين

من أبرز معاهد هذه المنطقة العامرة والحافلة بالفقهاء والعلماء. وقد تأسّست وازدهرت هذه المدرسة على يد الشهيد الأول. إلا أنّ جزين كانت قبل الشهيد معروفة بمن فيها من العلماء، منهم والد الشهيد جمال الدين مكّي

١- راجع: العاملي، محمد بن علي (ت: ١٠٠٩ هـ): مدارك الأحكام، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - إيران، ط. الأولى ١٤١٠ هـ، مقدّمة التحقيق ج ١ ص ١١.

بن محمد العاملي الحرّني. يقول عنه الحرّ في (الأمل): "كان من فضلاء المشايخ في زمانه ومن أجلاء مشايخ الإجازة"^٢.

ازدهرت المدرسة على يد الشهيد رضوان الله عليه وكان الشهيد يمارس التدريس فيها بنفسه، ويعطيها من اهتمامه وجهده ووقته الكثير. كما عمل الشهيد رضوان الله عليه في هذه الفترة على تنظيم علاقة الأمة بالفقهاء من خلال شبكة الوكلاء الذين ينوبون عن الفقهاء في تنظيم شؤون الناس في دينهم ودنياهم، كما يقومون بجمع الحقوق المالية الشرعية لتوزيعها على مستحقيها بنظر الفقيه^٣.

ونمت وتطوّرت مدرسة جزين بعد شهادة الشهيد رضوان الله عليه، واستقطبت طلبة العلم من مناطق مختلفة. وأصبح جبل عامل بفضل هذه المدرسة وجهود الشهيد مركزاً للإشعاع الفكري في بلاد الشام خاصة، والعالم الإسلامي عامة^٤.

ب- مدرسة جبّاع

من المدارس الفقهيّة المعروفة في جبل عامل. درس فيها الشيخ صالح بن مشرف العامليّ الجبّعيّ، وهو جدّ الشهيد الثاني، والشيخ نور الدين علي بن أحمد بن محمد العامليّ الجبّعيّ، والد الشهيد الثاني المعروف بابن الحاجّة، والشهيد الثاني ٩١١ - ٩٦٦ هـ، حضر فيها المقدّمات على والده الشيخ نور الدين، ثمّ هاجر بعد وفاة والده جبّاع إلى ميس وحضر فيها على الشيخ الجليل علي بن عبد العالي الميسّي سنة ٩٢٥ هـ، واستمرّ في الحضور عنده إلى سنة ٩٣٣ هـ ثمّ هاجر إلى كرك نوح وحضر فيها على السيّد حسن ابن السيّد جعفر صاحب

٢- الحرّ العامليّ (ت: ١١٠٤ هـ): أمل الآمل، تحقيق: أحمد الحسيني، منشورات: دار الكتاب الإسلامي، ط. ١٣٦٢ هـ ش. الرقم ١٩٩ ج ١ ص ١٨٦.

٣- المعروف أنّ الشهيد الأوّل رضوان الله عليه هو أوّل من أسّس هذا التنظيم، الذي يربط الفقيه المتصدّي بالأمة بواسطة شبكة من الوكلاء، واستمرّ هذا التنظيم فيما بعد ونما وتطوّر على أيدي الفقهاء الذين تصدّوا لشؤون الناس إلى اليوم الحاضر.

٤- ومّا يذكر في حجم مدرسة جبل عامل الفقهيّة في هذه المرحلة: أنّ فاطمة بنت الشهيد لما توفيت في قرية جزين حضر تشييعها سبعون مجتهداً من جبل عامل.

كتاب المحجّة البيضاء، وقرأ عليه الفقه والأصول والحديث والكلام والأدب، ثمّ عاد إلى جبّاع في سنة ٩٣٤ هـ، وبقي فيها يتعاطى العلم إلى سنة ٩٣٧ هـ حيث هاجر منها إلى دمشق ليكمل دراسته فيها.

وعاد إلى جبّاع مرّة أخرى سنة ٩٣٨ هـ وأقام فيها إلى سنة ٩٤١ هـ. يمارس التدريس والتوجيه والتأليف، وفي هذه السنة غادر جبّاع إلى دمشق حيث حضر فيها على علماء أهل السنّة، واجتمع بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقيّ الحنفيّ وقرأ عليه جملةً من الصحيحين، وأجازه روايتهما معاً. ثمّ غادر دمشق إلى مصر سنة ٩٤٣ هـ، فاجتمع في مصر بجمع من أعلام مصر وفقهائها، قرأ عليهم واستفاد منهم، ثمّ عاد الشهيد إلى جبّاع في حدوده سنة ٩٣٥ هـ وازدهرت بعودته مدرسة جبّاع بعد ضمور وخمول.

من أعلام مدرسة جبّاع

جمال الدين أبو منصور الشيخ حسن بن زين الدين المشهور بالشهيد الثاني (٩٥٩ - ١٠١١ هـ)، من كبار فقهاء الشيعة، اشتهر بكتابه القيم (معالم الدين وملأذ المجتهدين)، حضر عند السيّد علي الصائغ والسيّد علي نور الدين الكبير - والد السيّد محمّد صاحب (المدارك)، والشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائيّ، واختص بالسيّد علي الصائغ، وكان أكثر دراسته في العلوم العقليّة والنقليّة عليه. واستفاد من إقامة الشيخ عبد الله اليزدي رضوان الله عليه صاحب (حاشية التهذيب) في هذه المنطقة فقرأ عليه هو وابن اخته السيّد محمّد صاحب (المدارك)، ثمّ هاجر هو وصاحب (المدارك) إلى النجف وحضرا عند المولى المقدّس الأردبيليّ في الفقه والأصول، ثمّ رجعا إلى جبّاع. واستقلّ صاحب (المعالم) الشيخ حسن بعد عودته إلى جبّاع في التدريس، وألف مجموعةً من الكتب.

كرك نوح مدينة صغيرة تقع في البقاع الأوسط، وفيها قبر ينسب إلى نبي الله نوح عليه السلام، كانت من أكثر المدارس الفقهية خصوصاً وعراقاً في جبل عامل ولبنان. نشأ فيها وتخرّج منها في القرن العاشر الهجري والقرن الحادي عشر جمع غفير من الفقهاء والعلماء. ومنها كان الفقهاء من أمثال المحقق الكركي ينطلقون إلى إيران في العهد الصفوي ليشتركوا في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام وترسيخه في إيران وتثقيف المسلمين فيها.

معالم مدرسة جبل عامل

حققت هذه المدرسة إنجازات كبيرة وعلى درجة عالية من التطور في عدّة مجالات.

١- في الحديث: فقد تمّ في هذه المدرسة تنقيح كتب الحديث الأربعة الشهيرة، وأفرزت الصحاح والحسان منها عن الموثقات والضعاف. وقد نهض بهذا المشروع أبو منصور جمال الدين الشيخ حسن المعروف بصاحب المعالم وهو نجل الشهيد الثاني (رحمهما الله)، في كتابه منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان^٥.

٢- في أصول الفقه: فقد ألّف أيضاً الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) وهو من أفضل ما كتب في الأصول. ويمتاز هذا الكتاب بتحرير المسائل الأصولية وتنظيمها وتبويبها ضمن مقدمات ومطالب. وقد حظي هذا الكتاب نظراً لاختصاره وتركيزه واحتوائه على أمّهات المسائل الأصولية بشروح وتعليقات كثيرة.

٥- هذا الكتاب يعتبر التطبيق العملي للنظرية التي تمّ وضعها في مدرسة الحلة على يد السيّد ابن طاووس والعلامة الحليّ في التقسيم الرباعيّ للحديث إلى الصحيح والحسن والموثّق والضعيف.

٣- في البحث الفقهي: كتاب اللمعة الدمشقية للشهيد الأول، وشرح هذا الكتاب الشهيد الثاني بكتابه (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية).

وهذا الكتاب مختصر جليل في الفقه يتميز بمتانة الاستدلال وتركيز الدليل وتجنب الخوض في المناقشات المطولة لآراء وروعة البيان وجمال التعبير. وكل ذلك كان سبباً ليدخل هذا الكتاب في المنهاج الدراسي للحوزات العلمية في الفقه إلى اليوم الحاضر.

٤- في مجال تدوين القواعد الفقهية: وهي عبارة عن أحكامٍ كليّةٍ تندرج تحت كلّ منها تطبيقاتٌ جزئيةٌ من أبوابٍ مختلفةٍ من الفقه أو من بابٍ واحدٍ من أبوابه، وهي كثيرةٌ وتعتبر من أهمّ مصادر الاجتهاد.

فقد تمّ في مدرسة جبل عامل تدوين القواعد الفقهية لأوّل مرّة في تاريخ مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وكان الشهيد الأوّل أوّل من نضج بهذا المشروع الفقهي بصورةٍ منهجيةٍ، وذلك في كتابه القيم الجليل (القواعد والفوائد). وهذا الكتاب يحتوي على ما يقرب من ثلاثمائة وثلاثين قاعدةً، وما يقرب من مائة فائدةٍ، ويبحث الشهيد هذه القواعد في كثير من الأحيان بصورةٍ مقارنةٍ بين المذاهب المختلفة، يستعرض فيها الآراء ويخضعها لمناقشةٍ علميّةٍ دقيقةٍ.

خلاصة الدرس

مدرسة جبل عامل: بعد سقوط الدولة العباسية، أقبل طلبة جبل عامل إلى الحلّة لتلقي العلم من فقهاءها. فازدهرت مدرسة جبل عامل وانتقل إليها تراث مدرسة الحلّة، ومن معاهدها: جزين، جباع، وكرك نوح. معالم مدرسة جبل عامل

- ١ - تنقيح كتب الحديث الأربعة، وفرز الصحيح عن الضعيف.
- ٢ - ظهور كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) ..
- ٣ - ظهور كتاب اللمعة الدمشقية وشرحه.
- ٤ - تدوين القواعد الفقهية.

أسئلة الدرس

- ١ - ما هو الأمر التأسيسي الذي قامت به مدرسة جبل عامل ؟
- ٢ - تحدّث عن الشهيد الأول؟
- ٣ - عدّد المدارس الموجودة في جبل عامل.

المدارس الفقهية الشيعية (٦) أصفهان - كربلاء

أهداف الدرس

١. أن يتعرّف الطالب إلى مدرسة أصفهان.
٢. أن يستظهر ملامح هذه المدرسة.
٣. أن يتعرّف إلى مدرسة كربلاء.
٤. أن يتبين ملامح مدرسة كربلاء.

مدرسة أصفهان

انتقلت مدرسة جبل عامل إلى أصفهان في أيام الصفويين، وذلك لسببين رئيسيين هما: اضطهاد العثمانيين لفقهاء الشيعة في الشام من جهة، وحاجة الصفويين الشيعة إلى الفقهاء لتولّي شؤون القضاء والفتيا، والتوجيه، وتكريس علاقة الدولة بفقهاء أهل البيت عليهم السلام من الناحية الفقهيّة والثقافيّة، وتغطية الجانب الشرعيّ للدولة، من جهة ثانية.

الكركي والدولة الصفويّة

في أواسط القرن العاشر الهجريّ استجاب أول فقيهٍ عامليٍّ لدعوة الصفويّين وهو المحقّق الكركيّ وهو الشيخ نور الدين علي بن الحسين بن عبد العالي الشهير بالمحقّق الثاني. التقى المحقّق بالشاه إسماعيل الصفويّ في (هرات) إبّان فتحه لها في قمة مجده العسكريّ وانتصاراته، وبارك له هذا النصر واستقبله الملك المنتصر في نشوة فتوحاته العسكريّة باحترام وتقدير كبيرين، وطلب منه أن ينتقل معه إلى إيران ليتولّى شؤون الدولة الشرعيّة والفقهيّة بموجب مذهب أهل البيت عليهم السلام.

واستطاع المحقّق الكركيّ أن يقنع جمعاً من زملائه وأصدقائه وتلاميذه في جبل عامل بالهجرة إلى إيران، والإفادة من هذه الفرصة السانحة لنشر وتكريس فقه أهل البيت عليهم السلام، وبسط نفوذ الفقهاء في هذه الدولة الفتية. واستطاع فعلاً

أن يحقق خلال هذه الفترة أهدافه بصورة جيّدة، ونجح في بسط نفوذ المؤسسة الفقهيّة إلى حدّ بعيدٍ، ممّا جعل النافذين في البلاط الملكي يتضايقون منه بصورةٍ أو بأخرى، وأدّى ذلك فعلاً إلى برودٍ ملحوظٍ في علاقة المحقّق ببعض أجنحة البلاط، فأثر المحقّق مغادرة إيران إلى العراق، والعودة إلى النجف مرّةً أخرى، لمعاودة نشاطه الفقهيّ في هذه المدينة المقدّسة، بجوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام.

مكث المحقّق قرابة ستّ سنواتٍ في النجف توفّي خلالها الشاه إسماعيل، وخلف على الملك ابنه طهماسب. ويبدو أن الفراغ الذي خلفه المحقّق الكرّكي من بعده أضرّ بالدولة، وكان الجمهور يطالب بإلحاحٍ بعودة المحقّق الكرّكي إلى إيران، فلم يجد الشاه بديلاً عن المحقّق ممّا جعله يطلب من المحقّق العودة إلى إيران لتسلّم منصب شيخ الإسلام في عاصمة ملكه (أصفهان).

فاستجاب المحقّق للدعوة ورجع إلى أصفهان عاصمة الصفويّين بصفة (نائب الإمام)، وهذه الصفة تمنحه بطبيعة الحال الولاية المطلقة في شؤون النظام والأمة، وتجعل مشروعية النظام تابعةً لإذن الفقيه. وأقرّ النظام الصفويّ للمحقّق بهذه الولاية المطلقة النابعة عن ولاية الإمام، وصرح له الملك " بأنّ معزول الشيخ لا يستخدم، ومنصبه لا يعزل"^١.

كان وفود المحقّق الكرّكي على عاصمة الصفويّين بدايةً لهجرةٍ واسعةٍ من قبل فقهاء جبل عامل، والمراكز الفقهيّة العامرة الأخرى في ذلك التاريخ مثل البحرين. فقدم إلى إيران جمّع من كبار الفقهاء العالميين نذكر منهم: الشيخ حسين بن عبد الصمد - والد الشيخ البهائي -، والشيخ علي المنشار،

١ - ولا شك أنّ هذا حدثٌ جديدٌ في تاريخ فقه أهل البيت. ولأوّل مرّة في التاريخ يتصدّى فقيهٌ إماميٌّ لشؤون الولاية العامة، من موقع السيادة والولاية الشرعيّة نيابةً عن الإمام.

وكمال الدين درويش محمد العاملي، والشيخ لطف الله الميسي العاملي، والشيخ الحر العاملي صاحب موسوعة (وسائل الشيعة)، وغيرهم ممن ذكرهم الحر العاملي رضوان الله عليهم في كتابه (أمل الآمل)، وهؤلاء الفقهاء وضعوا أساساً متيناً لمدرسة إصفهان الفقهية.

ثم نبغ من هذه المدرسة فقهاء ومحدثون، وفلاسفة كبار أمثال:

الشيخ البهائي، والعلامة المجلسي (الأب)، والعلامة المجلسي (الابن)، والسيد محمد باقر الداماد، وصدر المتأخرين الشيرازي، والفيض الكاشاني، والملا عبد الله الشوشتري.

ملامح مدرسة أصفهان

١- برز الفقه السياسي والاجتماعي بصورة ملحوظة، وأصبح من مسؤوليّة الفقهاء الإجابة الفقهية على كثير من الأسئلة التي كان يطرحها الولاة، والحكام والقضاة، في مسائل الولاية والحكم والقضاء. وتناول الفقهاء هذه المسائل بالدراسة المستقلة ضمن رسائل فقهية مستقلة.

٢- أنجز المحدثون المجاميع والموسوعات الحديثية، ومن أهمها

أ- كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

ب- وسائل الشيعة للحر العاملي.

ج- الوافي للفيض الكاشاني.

حفظت لنا هذه المجاميع ما تبقى من الكتب والأصول الحديثية، ولولاها لاندثر الكثير من تراث أهل البيت في الأصول والفروع والتفسير والأخلاق والمعارف الإسلامية الأخرى.

مدرسة كربلاء:

كانت في كربلاء مدرسةً فقهيةً محدودةً قبل القرن الثالث عشر بموازاة مدرسة الحلة ومدرسة جبل عامل ومدرسة أصفهان. وكان في هذه المدرسة فقهاءً وعلماءٌ كبارٌ أمثال:

الشيخ أحمد بن فهد الحلبي من أقطاب الفقه والحديث، والشيخ إبراهيم الكفعمي من أعلام الفقه والحديث وصاحب التأليف القيمة، والسيد حسين بن مساعد الحائري في القرن التاسع الهجري، والسيد ولي الحسين الحائري صاحب كتاب مجمع البحرين، والمولى القاضي محمد شريف الكاشف في القرن الحادي عشر الهجري، والسيد نصر الله الحائري الفقيه الأديب الشاعر المعروف في القرن الثالث عشر، وغيرهم من أعلام الفقه والأدب والحديث والتفسير في هذه المدرسة العلمية.

أبرز علماء المدرسة:

شهدت هذه المدينة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر نشاطاً فقهياً واسعاً، وزخرت بفقهاء كبار أمثال:

الشيخ يوسف صاحب الحدائق، والوحيد البهبهاني، والسيد مهدي بحر العلوم والمولى محمد مهدي النراقي صاحب مستند الشيعة، والسيد مهدي الشهرستاني، والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، والسيد محمد المجاهد الطباطبائي، والشيخ شريف العلماء، والشيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب الفصول، والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط، والمولى محمد صالح البرغاني، وغيرهم من أساطين العلم، وأعلام الطائفة.

ويبدو أنّ مدرسة كربلاء بدأت تتسع في النكبة التي أصابت أصفهان في فتنه

محمود الأفغاني، وأخذت تستقطب طلبة العلم والفقهاء والعلماء والمدرّسين.

وأما الشيخ يوسف البحرانيّ فمن أبرز الأسماء اللامعة في هذه المدرسة، وهو مؤلّف الموسوعة الفقهيّة القيمة الحقائق الناضرة، حلّ بكربلاء بمحدود عام ١١٦٩ هـ فحفّ به طلاب العلم، وارتشفوا من نعيم علمه العذب، وتسلم في كربلاء زعامة التدريس والزعامة الدينيّة، وبقي في هذه المدينة قرابة عشرين عاماً حتّى وافاه الأجل فيها. وكان من زعماء المدرسة الأخباريّة في طريقة استنباط الحكم الشرعيّ. وكانت هذه الطريقة يومئذ هي الطريقة المعروفة في أوساط المدارس الفقهيّة للشيعة الإماميّة.

تخرّج على يده خلال هذه المدّة عددٌ من كبار الفقهاء أمثال:

أبي علي الحائريّ صاحب منتهى المقال، والميرزا القميّ صاحب القوانين، والسيد علي الطباطبائي الحائريّ صاحب الرياض، والسيد مهدي بحر العلوم صاحب الفوائد الرجالية، والمولى أحمد النراقي مؤلّف مستند الشيعة، والسيد ميرزا الشهرستاني، والسيد ميرزا مهدي بن هداية الله الأصفهانيّ الخراسانيّ الشهيد.

ونزل بكربلاء الشيخ محمّد باقر الوحيد البهبهانيّ، وكان نزوله بهذه المدينة إيذاناً بمرحلةٍ جديدةٍ في الاتجاه الفقهيّ في مدرسة كربلاء. فقد بدأ الوحيد عمله الفقهيّ بالدعوة إلى الاتجاه الأصوليّ، والاجتهاد، ومواجهة المدرسة الأخباريّة، التي كان يتزعمها آنذاك الملا أمين الاسترآبادي، الذي كان شديد التعصّب لهذه الحركة، وأخيراً وبعد صراعٍ فكريّ طويل، نجح الوحيد في رسالته العلميّة وأبرز الاتجاه الأصوليّ، واستقطب خيرة تلامذة الشيخ يوسف البحرانيّ وجمعهم حوله، وساعده على ذلك اعتدال الشيخ يوسف في الموقف بين المدرستين، وموقعيّة الشيخ العلميّة والاجتماعيّة، فانحسرت الحركة الأخباريّة وانزوت، ولم تستعد نشاطها بعد ذلك التاريخ.

ملاح المدرسة

- ١- كانت مدرسة كربلاء في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ساحة للصراع الفقهي بين المدرستين الذي انتهى إلى بروز المدرسة الأصولية وانحسار المدرسة الأخبارية.
- ٢- ظهور عدد من العلماء الذين تربوا على يد الوحيد البهبائي يحملون الفكر الأصولي، مما ساعد على غلبة هذه المدرسة ورسوخها واستمرارها.
- ٣- كثرة المؤلفات الأصولية (لا سيما للوحيد البهبائي) التي يقرب عددها من الستين كتاباً، خصص جملة منها في ردّ الشبهات عن المدرسة الأصولية ودحض شبهات الأخباريين ونظرياتهم^٢.

عودة مدرسة النجف الأشرف وقم المقدسة

بعد وفاة الوحيد البهبائي سنة ١٢٠٦ هـ عاد إلى النجف قطبان كبيران من تلامذته وهما: السيّد مهدي بن مرتضى الطباطبائي الملقب ببحر العلوم (ت: ١٢١٢ هـ)، والشيخ جعفر بن خضر الجناحي المعروف بكاشف الغطاء، نسبة لكتابه الفقهي كشف الغطاء. وبعودتهما ازدهرت حوزة النجف العلمية، وقصدها الطلاب والأساتذة. وما زالت حتى عصرنا الحاضر، رغم الظروف السياسية الصعبة التي مرّت على الحوزة العلمية في ظلّ النظام البعثي العراقي، مما جعل الكثير من علماء النجف يهاجرون خارج العراق، وانتقل الكثير منهم إلى حوزة قم المقدسة - التي كان قد أعاد إليها سابق مجدها الشيخ عبد الكريم الحائري (ت: ١٣٥٥ هـ) - خصوصاً بعد انتصار الجمهورية الإسلامية، وتحقيق أول دولة تقوم على نظام ولاية الفقيه وذلك على يد مفجّر الثورة الإمام روح الله

^٢ - رياض المسائل، علي الطباطبائي، ص ١٠٢، بتصرف.

الموسوي الحميري العظيم، وأصبحت الظروف مهيأة لاستقبال طلاب العلوم الدينيّة الشيعية في ظلّ نظامٍ شيعيّ، فازدهرت حوزة قم من جديدٍ، وهي إلى هذا الزمن تعجّ بآلاف الطلبة والأساتذة والعلماء الكبار. كلّ ذلك يعود فضله للجهود التي بذلها كبار علمائنا للحفاظ على التشيع، ونحج أهل البيت عليهم السلام، حتّى وصلت هذه الرسالة الإلهيّة إلى زماننا الحاضر كما أرادها الله وأهل بيته عليهم السلام بأيادٍ أمينّة، تناقلها أصحابها من جيلٍ إلى جيلٍ، باذلين في الحفاظ عليها المهج والأرواح.

خلاصة الدرس

مدرسة أصفهان: انتقلت مدرسة جبل عامل إلى أصفهان في أيام الصفويّين، بسبب اضطهاد العثمانيّين لفقهاء الشيعة، وحاجة الصفويّين الشيعة إلى الفقهاء.

ملاح مدرسة أصفهان

- ١ - برز الفقه السياسي والاجتماعي بصورة ملحوظة.
 - ٢ - إنجاز المجاميع والموسوعات الحديثيّة، ومن أهمّها: كتاب بحار الأنوار، وسائل الشيعة، والوافي للفيض الكاشاني.
- مدرسة كربلاء: كانت في كربلاء مدرسة فقهية محدودة قبل القرن الثالث عشر بموازاة مدرسة الحلة ومدرسة جبل عامل ومدرسة أصفهان.

ملاح المدرسة

- ١ - كانت مدرسة كربلاء في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، ساحة للصراع الفقهي بين المدرستين الذي انتهى إلى بروز المدرسة الأصوليّة وانحسار المدرسة الأخباريّة.

- ٢- ظهور عدد من الأصوليين، ممّا ساعد على غلبة هذه المدرسة ورسوخها واستمرارها.
- ٣- كثرة المؤلفات الأصوليّة.

عودة مدرسة النجف الأشرف وقم المقدّسة

سنة ١٢٠٦ هـ عاد إلى النجف الأشرف قطبان كبيران هما بحر العلوم وكاشف الغطاء، فازدهرت حوزة النجف العلميّة، وقصدها الطلاب والأساتذة، وما زالت حتّى عصرنا الحاضر.

وأعاد الشيخ عبد الكريم الحائريّ (ت: ١٣٥٥ هـ) إلى قم المقدّسة سابق مجدها. وقد أصبحت مركزاً يستقطب العلماء والطلاب من أقطار العالم نتيجة قيام الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران من جهة، وقسوة الظروف السياسيّة في النجف الأشرف التي انتقل الكثير من علمائها إلى قم المقدّسة، فازدهرت حوزة قم من جديد، وهي إلى هذا الزمن تعجّ بآلاف الطلبة والأساتذة والعلماء الكبار.

أسئلة الدرس

- ١- ما هي أهم ملامح مدرسة أصفهان؟
- ٢- ما هو الصراع الذي كان يدور في مدرسة كربلاء ولمن كانت الغلبة؟
- ٣- عدّد أبرز علماء مدرسة أصفهان؟
- ٤- تحدّث عن عودة الحوزة إلى النجف وقم المقدّستين؟